الجرح والتعديل

أبو قتادة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدّين:

الجماعة الإسلامية المجاهدة بحاجة في هذا الوقت الذي خطت فيه عملياً في تطبيق الحكم الشرعي مع المرتدين في المجتمعات، وهي بفضل الله تقفز قفزات موفقة نحو تطبيق أهدافها المنشودة في بسط سلطان الله في الأرض وذلك بإحياء الخلافة التي سقطت وأسقطت، أقول إن الجماعات المجاهدة بحاجة إلى إحياء منهج الجرح والتعديل وتطبيقه في هذا العصر على الأشخاص والتجمعات، وأئمتنا بذلوا الجهد العالي في توريثنا مكتبةً زاخرة بكتب الرجال وطبقاتهم، فهناك رجال الحديث، والأحكام المتعلقة بهم فيما يخدم علم الحديث من تضعيفٍ وتوثيق، وهناك رجال الشعر والأدب واللغة، مع ما حوت أخبارهم مما يخدم قضايا الأدب والفقه، وكذلك كتب طبقات الفقه وطبقات الأمراء، وغيرها الكثير، وطالب العلم لو قلّب كتاباً من هذه الكتب لرأى فيها صورة مثلى فيذكر أخبار الرجال التي يستطيع من خلالها أن يدرس تلك الشخصية، وهي تفيده كذلك في دراسة المجتمعات ومعرفة حركة حياة الناس يوم ذاك، ومع أن الدراسة المعاصرة المقترحة تحتاج إلى مقدمة يبين فيها موازين الجرح والتعديل وألفاظه المعاصرة في تقيم الرجال، وهذا الأمر قد يطول ويحتاج إلى دراسة متفرّغة، وقد يفرغ له بعض طلبة العلم المجدّين، إلا أنه مما ينبغي التنبيه عليه أن الحركة المجاهدة في الجزائر خصوصاً وفي كل البلاد عموماً بحاجة سريعة في كشف الشخصيات المسلمة المعاصرة، لأنّها ككل الحركات المسلمة تعيش حالة من الانغلاق في معرفتها بالشخصيات الإسلامية المعاصرة، وأهل البلد أدرى بما فيه، وهي لو اتخذت لها مجلساً من أهل الدين والعقل من كافة بلاد المسلمين ليكونوا عوناً لهم في التعريف بالعلماء والدعاة في بلادهم، فهذا مما يخدم القضية ويجعلها تحقق الغرض المنشود.

والدراسة هذه والمجلس المقترح لها فوائد عديدة أهمّها: بالنسبة للجماعة المجاهدة في الجزائر أن لا يؤتوا في مرحلة من المراحل بشخصية لها الاحترام الموهوم في بلادهم فيدفعهم بنصائحه المؤطرة من خلال منهجه وارتباطاته التنظيمية أو الحكومية إلى مهاوي المهالك، ولعل تجربة الشيخ المصري محمد الغزالي هي أكبر دليل على ذلك، فهو شيخ أزهري، له صدى واسع في الاسم والشهرة، مع ما له من تاريخٍ شبابي في الدعوة والإرشاد، واقترانه بالشيخ حسن البنا، كل هذه المقدمات وغيرها من حسن البيان الذي يملكه في الدروس والخطب جعلت منه رجلاً محبوباً لدى الأمّة الإسلاميّة في الجزائر عندما ذهب هناك للتدريس في جامعاتها، ولو لم يفضح الله أمر هذا الشيخ وذلك لوقوفه أمام حركة الشيخ مصطفى بويعلي رحمه الله، وتهديد الشيخ مصطفى له ثمّ تسليط الشيخ علي بن حاج عليه لكان الشيخ وللأسف ممن تثق به الحركة الجهاديّة في الجزائر، وقد رأى الكثير من الأخوة تفاعل الشباب الجزائريّ

بشخصيّتين من الرموز الإسلاميّة خلال أزمة الخليج وكيف استخدمت هاتان الشخصيّتان من قبل علاقتهما التّـنظيميّة والحكوميّة لبثّ فكر التنظيم أو الدولة داخل عقليّة الشباب الجزائريّ، والشخصيّتان هما: أحمد القطّـان الكويـتي، وأسـعد بيـوض التّميمي عضو البرلمان الفلسطيني عندما كان في المنفى تحت اسم (المجلس الوطني الفلسطيني).

أحمد القطّان بما كان له من احترام عند الشباب إذ لا يعرفون منه إلاّ صوته الذي يملأ جنبات المسجد بحديـثه عن الجهاد وحديثه عن فتن ومصائب المسلمين، ولعدم وجود القواعد الصّحيحة في تقييم الرجال فـإنّ الكـثير من الشباب كان يرى فيه نموذجاً يقتدى به، أو على الأقل يحسب على الصفّ النّظيف في العمـل الإسلامي، وفي ذلك الوقت لو جاء أحدهم ليقول لهم بشيء من الموضوعيّة من هو أحمد القطّان لجـاوبوه بالصّـفع والركل، ومثله كذلك الشيخ المعمّم أسعد بيوض التميمي، فهو ليس إلاّ صورة أخرى لأحمد القطّان الكويتي، ولكنّ الأيّام دولٌ، والدّوائر تدور، والحياة تكشف المخبوء، فما هي إلاّ فتنة الخليج إلاّ وتكشّفت الحقائق عن هاتين الشـخصيتين: أحمد القطّان سفيراً للحاكم المرتدّ جابر الصباح، يدعو إلى عودة الحكومة الشرعيّة إلى الكويت، والحكومة الشرعيّة في عقله هي آل الصباح (عليهم من الله اللعائن) ويـبرّر استقدام الكفر إلى الجزيرة، ويستخدم اسمه اللامع في جلب الناس نحو الصّف السعوديّ الكويتيّ الأمريكيّ الكافر، وأمّا ذاك الشيخ أسعد بيـوض التميمي فلم يكن إلاّ سفيراً لصدّام حسين التكريتي البعثيّ الكافر اللعين، حيث طوّف في البلاد داعياً إلى بيعة الرئيس المؤمن!! صدّام حسين، هذا الرئيس الذي تزيد أفعاله ضدّ المسلمين أفعال الصّليبيّين في بلاد الإسلام، وهكذا حاول كلّ شيخ أن يستخدم سمعته في تمرير الكفر على المسلمين، وهي صورة لن تنتهي ولن تختم بأزمة الخليج بل ستتكرّر دولاً مع الأيّام، لأنّ أمّتنا لا تتعظ من الأيّام وأحداثها، وذاكرتها في حفظ التّاريخ جدّ ضعيفة.

ومثال هذين الشخصين كثيرٌ وقوعه في الماضي والحاضر، والأمثلة في الجراب كثيرة وكثيرة جداً، ولهذا فإن الجماعة المجاهدة في الجزائر بحاجة لهذا الجانب من العلوم الذي قصّر فيه المسلمون، ولم يعد لـه وجود بمثل الرسوخ الذي كان عند أئمّتنا الأوائل، وإذا وُجد بعض اللفتات السريعة المبثوثة في بعض الكتب أو الموجودة على الأشرطة فهي أمثلة هزيلة، أو مشوّهة تُضحك الثكلى لما ترى فيها من انحراف عن الجادة في التقييم والحكم، وابتعاد جلي عن المنهج السلفي في التعامل مع الأشخاص والأفكار.

ومـن المهـم جداً أن يُكشف للمجاهدين في الجزائر الرموز والشخصيات الإسلامية ليتعاملوا معهم الـتعامل الصحيح، ومن المهم التنبيه أن قواعد الحكم على هذه الشخصيات قبولاً وردّاً، وتعديلاً وتجريحاً هو بمقدار قرب هذه الشخصيات من الحق والرشد في موضوع الإيمان والتوحيد، وقربه وبعده في منهج الـتعامل مـع النصوص بين كونه أثريًّا أو أرائتياً، وقربه وبعده من إيمانه بالمنهج الجهادي كحلٍّ شرعي وحيـد مـع طوائـف الردة في بلاد المسلمين، وعلى هذا وباختصار يناسب هذه الورقات، وهذه النشرة فسأذكر منهجي في تقييم هذه المصطلحات.

هذه المصطلحات هي:

١ – بـــرلماني: ويقصد منه أنه يرى جواز الدخول في البرلمانات الشركية، وهو شخص لا يوثق به ولا يُـــتعامل معه في المسائل الجهادية، ولا يُستشار في فقه الطائفة المرتدة المحاربة، قد يُستغل في حمل إرشادات تنظيمات منحرفة ودولٍ شركيّة /جرح/.

٢ – أرائتي: من أهل الرأي، رجل بعيد عن النص والأثر، يغلب عليه جانب المصلحة دون الالتفات لـــلحكم الشرعي، لا يستشار في فقه الجهاد، قد يُستغل في حمل إرشادات تنظيمات منحرفة ودول شركيّة /جرح/.

٣ – شيخ: من أهل الفقه، بغض النظر عن كونه مقلّداً أو متبعا، ضعيف في فهمه لحال أهل زمانه، قد يستشار في فقه الجهاد.

٤ – موظف حكومة شركية: لا يأتي منه خير، وهو كقول البخاري: فيه نظر.

٥ – إخوانيّ: برلماني + أرائتي + شيخ.

٦ – ســـعودي: خـــص بالذكـــر لعظم شرّه وهو قريب من موظّف حكومة شركيّة. والسعودية عندنا عائلة، والسعودي ليس نسبة لمكان و قُطر ولكن نسبة لحكومة محكومة من آل سعود المعاصرين..

٧ – سلفيٌّ مزعوم: شيخ، وقد يجمع بعض صفات الجرح الأخرى.

٨ – شَبَه: معمم جاهل.

٩ – خطيب: تطلق على من عرف بالمقدرة الخطابية، وهي لا تعني جرحاً ولا تعديلاً، لا مدحاً ولا ذمّاً.

١٠ – موحّـــد: أعـــلى درجات التعديل، مجاهد، فقيه، بصير بحال أهل زمانه، عالم بتوحيد الشرع والقدر.

١١ – مجاهد: بصير بأمور الحرب والمكيدة.

١٢ – سنني: بصير بشؤون الحياة والسياسة و الحرب.

وقـــد تـــأتي بعـــض القواعـــد والمصـــطلحات خـــلال الدراســـات والـــبحث. والله الموفّـــق.

محمد قطب
محمد سرور بن نايف زين العابدين
عبد الكريم مطيع
حزب التحرير
محمد ناصر الدين الألباني
طائفة الأحباش
راشد الغنوشي
كمال الهلباوي
محمد سعيد رمضان البوطي
مراجعات حول النظرة

للأســـتاذ عـــدة كتب تعتبر كافية في الحكم على الأستاذ ومنهجه، مع أن كتبه كثيرة لكن الكثير منها يعد معالجات لأفكار وتصورات معاصرة تحمل الخطوط العريضة بأنه بفضل الله تعالى في الصف الإسلامي ضدّ تيّار الجاهلية بخطوطها المتعددة كالإباحية والرأسمالية والاستشراقية وغيرها.

لكن ما يعنينا في مثل هذه الأبحاث القصيرة هو عدم النظر إلى هذه الخطوط العريضة بمقدار الغوص واستطلاع دقائق الفهم لقضايا الإسلام المعاصرة لخدمة جماعات الجهاد المسلّح. الكتب التي يطرح الأستاذ فيها نفسه ويشرح فيها موقفه من القضايا الداخلية في الصف الإسلامي هي:

أ) واقعنا المعاصر.

ب) مفاهيم ينبغي أن تصحح.

ج) حول تطبيق الشريعة.

يعـــد الأستاذ حفظه الله ورعاه من أوائل من اكتشف مكامن المرض في الجسم الإسلامي الهزيل، وهذا من فضل الله عليه وعلى أخيه سيد رحمه الله قبله، وقد عرض هذه الاكتشافات في كتابه "مفاهيم ينبغي أن تصحح".

وقد حاول الأستاذ جاهداً أن يثير المفاهيم الغائبة في أعظم قضيتين حصل فيهما التحوير والتزوير في عقلية المسلم المعاصر وهما: توحيد الشرع، في أربعة فصول من الكتاب وهي:

١) مفهـــوم لا إلـــه إلا الله. ٢) مفهوم العبادة. ٣) مفهوم الدنيا والآخرة. ٤) مفهوم الحضارة وعمارة الأرض.

والقضـــية الثانية هي توحيد القدر وقد عرضها الأستاذ في فصل واحدٍ من كتابه وهو: مفهوم القضاء والقدر.

والأستاذ في ظنّنا ليس كغيره يعلِك هذه المفاهيم من غير تصوّر صحيح لها، فإنه حفظه الله قد نبّه على بعـــض الانحرافات في بعض الجماعات الإسلامية وخاصة في مفهوم توحيد الشرع كما بسطه في كتابه واقعنا المعاصر.

فالأســـتاذ في هذا الجانب من أئمة هذا العصر، وبسبب كشفه لهذه القضايا المنسية في عقلية الجماعات الإسلامية، قامت عليه هذه الجماعات بالهجوم والتحذير من كتبه، وقد تولى كبر إسباغ الشرعية على هذه المفـــاهيم المنحرفة والرد على كتبه كتابان هما: "حاضر العالم الإسلامي للدكتور علي جريشة"، والثاني: "شبهات حول الفكر الإسلامي المعاصر لسالم البهنساوي، وكلاهما من الإخوان المسلمين. وهما من أفسد ما أفرزت المكتبة الإسلامية المعاصرة من كتب تدعو إلى إسباغ الشرعية على الواقع المعاصر.

أمّـــا منهج محمد قطب في التغيير: – فالأستاذ كان يدعو في كتبه القديمة إلى فكرةٍ دندن حولها كثيراً وهـــي وجوب إيجاد القاعدة الصلبة للعمل الإسلامي، وأن الواقع يدل على عدم وجود هذه القاعدة، ولذلك الواجب علينا الآن. حسب قوله القديم. أن ننشغل: ١) بالبيان. ٢) بالتربية.

يقول الأستاذ في كتابه واقعنا المعاصر: لا بد أن يقوم السند للحكم الإسلامي من داخل الأمة المسلمة ما دام لا يمكن أن يجيء من خارجها. فهل هذا السند موجود في الحقيقة؟ فيجيب الأستاذ بعد ذلك بعدم وجود هذه (القاعدة الإسلامية) كما هو مطلوب.

ثم يتابع الأستاذ دعم فكرته وأن على المتعجلين بمواجهة الأنظمة أن يتريّثوا وأن (القاعدة الإسلامية) لم تـــزل بعـــد أصغر من حجم العمل المطلوب (وهذه عبارته من كتابه واقعنا المعاصر)، هكذا كان يطرح الأستاذ فكرته في كتابه الذي أصدره سنة ١٩٨٦، وكذلك في كتابه مفاهيم ينبغي أن تصحح الذي أصدره في سنة ١٩٨٧.

وكـــان الكثير من المحبين للأستاذ كانوا يدعون أن يبصِّر الله الأستاذ بالواجب الشرعي العيني المُلقى عـــلى عـــاتق الأمة في مثل هذا الظرف، وهو وجوب الجهاد ومواجهة الجاهلية بقوة السلاح، فكان كتابه "حـــول تطـــبيق الشريعة" الذي أصدره سنة ١٩٩١. استجابة لهذه الدعوات بفضل الله تعالى فقال الأستاذ حفظـــه الله رادّاً على سؤال "أحقًّا لا نستطيع شيئا إزاء كيد الأعداء؟": إن أحدا من الجادين لا يقول ذلك، وإن اختـــلفت فـــي درجـــات الجد وزوايا الرؤية ومناهج العاملين، إننا في الحقيقة نملك الكثير إذا عزمنا العـــزمة الصادقة، واتجهنا الاتجاه الصحيح، أي إذا عزمنا عزمة صادقة أن نعود إلى حقيقة ديننا ونتحمل التكاليف. إنه لابد من الجهاد، وكل طريق غيره لا يؤدّي إلى شيء.

ثـــم يواصل الأستاذ حديثه الممتع في الرد على شبه المثبّطين عن المواجهة فيردّها واحدة واحدة. حتى يقـــول: يقـــول الذين يتهيّبون الطريق كيف نجاهد ونحن مستضعفون؟ كيف نجاهد ونحن في قبضتهم أنّى اتجهـــنا؟ وهؤلاء نقول لهم انظروا إلى الجهاد الأفغاني، انظروا إلى الانتفاضة الإسلامية في فلسطين. ثم يقول: لابد للأمة المسلمة لكي تستعيد مقوّمات وجودها وفي مقدمتها التحاكم إلى شريعة الله وتحقيق منهج الله لابد لها من الجهاد، فإن الأعداء لن يسلّموا لها بشيء إلا بالجهاد.

ويقول: ينبغي أن نتعلم بروح الجهاد، ونعمل بروح الجهاد ونعيش بروح الجهاد... لا بد من تربية جيل جديد، يحمل بين جنبيه الشعلة المقدسة (شعلة الإيمان، شعلة الجهاد).اهـــ.

وأنـــا لا أعتـــبر الأســـتاذ قد غيّر فكرة ضرورة القاعدة الصلبة، لكني أستطيع أن أقول إنه كان ينفي وجودهـــا، لكنه بفضل الله قد اكتشفها. فهي موجودة في كلّ بلد، لأن الطائفة المنصورة طائفة قائمة حتى تقاتل المسيح الدجال.

وعلى الأستاذ بعض المآخذ أهمّها:

(١) أنـــه لا يضـــع كـــثيراً النقاط فوق الحروف، ويعني هذا أن الأستاذ يعتمد في كتبه طرح أسلوب التعميم. ولعلّ له عذراً وأنت تلوم. لكن هذه المصالح المرجوّة بترك التعرّض للأسماء الصحيحة في ظني هـــي مصالح وهمية ولن تتحقق، والـــواجب علينا تسمية الأمور بأسمائها الكونية والشرعية، ليتمّ تحقيق استفاضـــة الـــبيان. فالأستاذ ما زال يُستغل من بعض جماعات الانحراف كالإخوان المسلمين في تمرير أفكـــاره عـــلى الشـــباب المحبين له وخاصة عبارته القائلة أنه لا يخالف شيئا من فكر الأستاذ حسن البنا وجماعة الإخوان المسلمين، وهذه الكلمات مع خطئها الموضوعي هي خطأ كذلك أن لا يعلن الأستاذ موقفه الصـــريح من هذا التنظيم وأمثاله الذين يبنون على ظهره القصور والعلالي مع علمنا أنه ليس منهم، لأن هـــذه التنظيمات (كالإخوان المسلمين) يستخدمون اسمه متى يكون في اسمه المكسب والمغنم، ويطرحونه مـــتى فيه الخسارة والمغرم، وما اسم عبدالله عزام عنا ببعيد، ولهذا صدق من قال إن الأستاذ محمد قطب يفقد عنصر التمرد، وهو عنصر ضروري ومهم للأستاذ محمد قطب.

(2) المـــأخذ الـــثاني: إن كثيراً من التحليلات التي يطلقها الأستاذ لبعض الأحداث السياسية المعاصرة تفتقد عنصر (الأرشيف) والدراسة المتأنية، فإن الكثير من الفضلاء يعتمدون على مبدأ (الفتح الرباني) في دراســـة الواقعـــة وتحـــليل أبعادها، ولعل عدم وجود فريق عمل مع الأستاذ هو الذي يوقعه في مثل هذا المأخذ.

حفظ الله الأستاذ وجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء، وهدانا الله وإياه لأرشد أمرنا.

مــن المهــم التنبيه على القواعد التي من خلالها نحكم على الأشخاص والتنظيمات، وقد قدمتُها في مقدمة البحث بشكل لم يتنبّه له بعض القراء، فها أنا أذكرها هنا:

١ – القــاعدة الأولى: فهم الرجل أو الجماعة لفهم أهل الحق (الفرقة الناجية) في توحيدي الشرع والقدر، علماً وعملاً. وهذا أساس التفريق بين السني والبدعي.

٢– القاعدة الثانية: قرب الرجل أو التنظيم وبعده في استسلامه للنصوص، فهل هو أرائتي أم أثري؟.

٣– القاعدة الثالثة: قرب الرجل وبعده في فهمه للطائفة المرتدة، وفي فهمه لقتالها، وهذه القاعدة تكشف لنا قدرة الرجل أو التنظيم في تطبيق القاعدتين السابقتين.

والآن أين محمد سرور من هذا؟.

ابتداءاً نحن مع محمد سرور ضد خصومه من أهل البدعة، ونرفض أن تَستَغِل هذه الطوائف الحقائق التي ننشــرها في هذه الورقات ضد سرور أو غيره، وما هذه الدراسات إلا أمانة في أعناقنا نضعها بين يدي المجاهدين، ولهم وحدهم حق الانتفاع.

أما الفرق البدعية التي نقف مع محمد سرور ضدها فهي:

١ – الشــيعة الــروافض: عليهم من الله اللعائن، إذ أن هذه الفرقة من أخبث الفرق البشرية من جهة أهل السنة والموحدين لأنها من اليهود ومع اليهود.

٢ – دعــاة نبذ فهم الواقع وفقهه، وهؤلاء من أجهل ما عرفت البشرية من بشر بغض النظر عن انتسابهم وشعاراتهم سواء كانت مذهبية أو سلفية.

٣ – الســلفيون المــزعومون: وهم الكتلة التي نقمت على سرور أن يسرق منها بعض أوراقها المشيخية بحجة أنه يدعو إلى العمل التنظيمي أو إلى كشف حقائق أولي الأمر المرتدين وغيرها.

٤ – الــتيار الإسلامي المستنير! (الأرائتيون) المتكلمون: فإن مجلة السنة مع غيرها لها الفضل في كشف هذا التيار البدعي الضال.

والحق أحق أن يتبع. وإن شاء الله لن تمنعنا مهابة الناس أن ننطق بالحق أو نكتبه.

والآن إلى تطبيق القواعد على محمد سرور: لو أتعب الباحث نفسه فلن يجد لسرور في أول قاعدتين شيئاً، ســوى ترديده المتكرر: أنه يجب اعتماد منهج أهل السنة والجماعة في بناء الأشخاص والتنظيمات، وهذه ليست كافية للحكم على سرور أنه سني أو بدعي؟، أرائتي أم أثري؟ لسببين:

أولاهما: أن هذا الشعار يرفعه ويردده صاحبه الحق، وصاحبه المدعي، بل إن أكثر الجماعات انحرافا عن الســنة وسبيلها خارج إطار طائفة الشيعة الروافض لا تفتأ رفع هذا الشعار، فالعبرة في التدقيق والعمل.

ثانيهمـــا: رأيـــنا سرور يتعامل مع هذا الشعار مقابل الروافض، وليس مقابل أهل البدع عموماً، وهذا في مواطن مثيرة في مجلّة السنّة القائم على كتابتها وإدارتها.

ففي عدد السنة (٢٥) سمى السودان بالبلد السني المسلم وقال: ولم يصدر عن أهل هذا البلد ما يجعلنا نعتقد أنهم غيّروا دينهم أو غيروا منهجهم السني.

ولـــو حاولنا أن نستطلع معالم أهل السنة والجماعة في عقلية سرور من خلال كتابه: الحكم بغير ما أنزل الله وأهـــل الغلو /بشقَّيه/ فلن نخرج بشيء، مع أن سرور قد صَدَّر الكتابين بعنوان مثير: "قضايا العصر عـــلى ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة"، وقد حاول سرور أن يتعامل مع أهل الغلو بنوع من العلم والفقه فـــلم يفـــلح، وأستطيع أن أجزم أن سرور لم يكتشف الأخية التي انحرف فيها شكري مصطفى وجماعته المنحرفة عن جادة أهل السنة والجماعة، بل والحق كذلك أن سرور لم يفهم ما هو منهج شكري مصطفى قـــبل أن يـــردّ عليه، وأمثلة جهل سرور بفكر شكري كثيرة منها على سبيل المثال ما ذكره في ص١٢٣ تحـــت عـــنوان "أصـــلان جديـــدان" فإن سرور لم يعرف ما وجه قول شكري، إن من أدلة الهدى عنده: الســـموات والأرض ودليل الفطرة، فليت سرور سأل قبل أن يسوّد كتابه بلا فهم، وأقبح من هذا فعله مع جماعة التوقّف والتبين، فكتابه بحق ينصر هذه البدعة لضعفه وعجزه عن معرفة الردّ الصحيح على هذه الجماعة.

ولم يكتشف سرور بعد ما هو أساس الخلاف بين السنّي وبين جماعة التوقف والتبين في موضوع الإيمان. وهذا يدل على أن سرور لم يحظ من أهل السنة والجماعة إلا الشعار، وللتذكير فان الحاجة كانت ماسة أن يخرج لنا سرور كتاباً في الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الإرجاء، وهم الذين يملأون الأرض شرقاً وغرباً ولكنه لم يفعل، مع أني في شك من قدرة سرور على عمل هذه الدراسات.

والحـــق أن سرور رجل يرفض في كل ما كتب وسوّد أن يعطي أحكاماً قاطعة في مسائل كثيرة تحتاجها الحـــركة الإسلامية المعاصرة، مع أنه يدعو وجماعته تدعو إلى وجوب فهم الواقع، لكن السؤال: ما هي الفـــائدة أن يســـوّد محمد سرور مقالاً في مجلة السنة عدد (١٢) وما بعدها، ثم ينشره لفائدته العظيمة كما يظن على شكل كتيّب بعنوان "هل عرفتم الآن حقيقة حكّامكم؟"، فلا يقدّم سرور فيه شيئا يستحق أن يبعث فـــي نفس السني حكماً شرعياً في هؤلاء الحكام، بل ولا يقدّم محمد سرور شيئاً من هذه الأحكام فيهم، ثم أين القضية الأولى والمهمة بين الموحدين وبين هؤلاء الحكّام؟، وأعني استبدالهم للشريعة والحكم بغير ما أنـــزل الله، وهذا نقوله لأننا قرأنا كل ما كتب سرور في مجلته، وكل ما أصدره من كتب فلم نر له شيئا يستحق أن يُبنى عليه حكم شرعي لهؤلاء الحكام، أما هذه العمومات التي يكتبها في السنة وما يصدرها في كتبه فهذه يعرفها أهل الإفراط وأهل التفريط، وليس منها نستطيع أن نكتشف أو نحكم على قائلها بأنه سني أو بدعـــي إلا بعـــد أن يصدر حكماً شرعياً، لأن الحكم الشرعي لن يكون فيه هذه الفضفاضية التي تسمح للجاهل بالستر على جهله، ولا بالزئبقي بالهروب إلى حيث يقتضي الظرف والمصلحة الشخصية.

ســـرور في هذا الباب لا يعدو أن يكون من جماعة الإخوان المسلمين، ولكنه استطاع تمرير حقيقته على تيّار الجهل بفقه الواقع حين استخدم شعار أهل السنة والجماعة، واتّباع منهج السلف الصالح، وسنرى فيما يأتي كيف أن سرور ليس له منهجٌ واضح في التعامل مع الأمور، بل هو مضطرب أشدّ الاضطراب فيما يصدر ويقول، وهذا يجعلنا نؤكد أن هذا الشعار الذي رفعه لا يعرف من حقيقته شيئاً سوى حقيقة واحدة، (وهـــي عريضة يكتشفها الأعمى) هذه الحقيقة هي: نبذ أهل الرفض الملاعين وعدم الاغترار بشعاراتهم الخادعة.

و ممـــا ينـــبغي أن نؤكّـــد عليه أن العمومات لا تكفي في هذا الزمان للحكم على الشخص، بل لا بد من الدخـــول إلى الدقـــائق حتى نستطيع أن نكتشف الحقيقة، والأمثلة في ذلك كثيرة وأهمّها: موضوع الإيمان وحقيقته عند أهل السنة والجماعة، فإنّك تسمع (الجميع!!) يردّد: الإيمان قول وعمل، ولكنك حين تنظر إلى جـــانب التطبيق لهذه الحقيقة تكتشف عمق الخلل.

وكذلك موضع الجهاد: في السنة عدد (٣٤) محمد سرور، وفي افتتاحية العدد يتكلم بتوسع إنشائي كالعادة عن الاتفاق الفلسطيني اليهودي ويقول فيه: لا أدري والله ماذا كانت شعوبنا تنتظر من عرفات وغيره من الزعماء العرب، وإلى متى تستمر هذه الأمّية السياسية؟!.. ألا يرون سيرة هؤلاء الأقزام من شعوبهم.. ألا يرون حربهم الشرسة ضد الإسلام والمسلمين.. ألا يرون ولاءهم للكفار المشركين. اهـــ.

فكما ترى هذا كلام جميل ورائع وهو يصلح مقدّمة وحيثية عند البعض لإصدار حكم شرعي فيهم: والحكم الشـــرعي هو أن حكامنا كفّار لأنهم يحاربون الإسلام والمسلمين ويوالون الكفّار المشركين. أليس كذلك؟ وفـــي نفس المقال: يتباكى سرور على الجهـــاد، ويقول ويتسائل: فهل أصبحت أحكام الجهاد تراثاً يدرسه طلاّب العِلم دون أن يكون له وجود فعلي؟! إذاً سرور يطلب من المسلمين الجهاد (والآن).

لكـــن يـــا أستاذ سرور: سيسألك الناس: نجاهد من؟ ومع من؟ أليس الواجب أن نقاتل هؤلاء الكفار الذين منعونا أن نجاهد اليهود؟ ألم يُكتب في مجلتك في نفس العدد (٣٤) بقلم محمد الأحمد ص ٩٣ حكماً شرعياً يقول: "بل لا خلاف بين العلماء أن أي طائفة امتنعت عن جهاد الكفار أو ضرب الجزية عليهم تُجاهد هي بذاتها (كذا) حتى ترجع إلى الصواب وتلتزم هذه الفريضة المحكمة".

أرأيـــت أخـــي المجاهد هذه العمومات ما أجملها، لكن أنظر إلى النتائج التي ينتهي إليها في معارضة هذا الاتفاق اليهودي – العلماني (مع أن القضية الحقيقية بين المسلم وبين الحكّام كانت قبل الاتفاق وهي باقية بعـــد الاتفـــاق): يقول سرور في كتيبه الذي أصدره المركز بعنوان: "مؤتمر الاستسلام وأبعاد المعارضة الإســـلامية" عن كيفية معارضة هذا الاتفاق، يقول: "معارضتنا لمؤتمر الاستسلام لها حدود، وتجاوز هذه الحدود مهلكة" (نقلا عن السنة١٧/ص٢٢) ويقول: "إن إنكار المنكر واجب على كل مسلم، فلا بد أن ترتفع أصـــوات الدعـــاة (بشـــجب!!) هـــذه المؤامـــرة، وبيـــان أبعادهـــا ومخاطـــرها". أي أن حدودنا تنتهي فقط إلى الشجب.

محمـــد الأحمد يدعو إلى قتال الطوائف التي امتنعت عن الجهاد. والسؤال الآن إلى محمد سرور: من هي هذه الطوائف في عصرنا؟. قطعاً ليسوا هم الحكام وطوائفهم في عقلية سرور، لأن سرور يستهزئ عمن يقول ذلك في عدد السنة رقم (٥) ويكيل لأصحاب هذا القول أشد أنواع الألفاظ اتّهاما واحتقارا كما سيأتي في بحثنا عن محمد سرور ومنهجه في التغيير.

هذه الأمور وغيرها كثيرة جداً تدلك على أن المنهج العلمي عند سرور ضعيف بل وأشدّ من ضعيف وهذا الضـــعف مـــع إطـــلاق العمومات التي لا تشفي غليلاً هي التي دفعت جمال سلطان (وهو محسوب على ســـرور فكـــراً وتنظيماً) في عدد السنة (١١) يتساءل متحيّرا قائلاً: من الطبيعي أن المهتمّين بمسألة (فقه الـــتغيير) مـــن الإسلاميين، سوف يواجهون الشباب بسؤالهم الضروري: ما السبيل؟ وما الحل؟. السؤال صعب كما يبدو، وقد تكون الإجابة عليه مُرّة.

وعجيـــب من جمال أن يقيّد السؤال: بالشباب. لأن السؤال حين يكون من شباب، فسرور لا يرد عليه لأن سرور لا يأبه للشباب كما سيأتي.

وعجيبة أخرى أن يكون (الشجب) وهو الحل عند سرور مُراً.

وفـــي الـــنهاية قد اعتذر عنه بعض أتباعه أن محمد سرور تخصصه الدراسي في مادة التاريخ وليس في الدراسات الشرعية، فليت الإخوة يتعاملون معه بهذا الأمر وفقط.

وصدَق العتابي حين قال: لو سكت من لا يعلم عمّا لا يعلم سقط الاختلاف.

(1) منهجه في التغيير ما نقوله عن منهج الأستاذ محمد سرور في التغيير هو من خلال قراءتنا له، وقد تكـــلّم فـــي ذلك كثيراً في مقالاته التي يـــصدرها في مجلّة "السنة"، وقد تكلّمنا في العدد السابق عن عدم وضوح التصور الشرعي للواقع عند محمّد سرور، وقد اعترف محمد سرور بشيء من هذا في مقاله الذي أبـــان فيـــه شـــيئاً عـــن نفسه في (السنة عدد ٢٧) حين قال في معرض حديثه عن شروط القيادة للعمل الإســـلامي، وعدم توفّرها فيه، قال: قناعتي بأن المسؤول عن جماعة إسلامية لابد أن يكون عالماً مجتهدا في العلوم الشرعيّة، وهذا الشرط غير متوفر فيّ وأنا لا أقول هذا القول تواضعاً، ولكن هذه هي الحقيقة، ورحم الله رجلاً عرف قدر نفسه. اهـــ.

ولكـــن أما كان قرّاء السنة بحاجة إلى دراسة شرعية (من الجماعة) توصف لنا حقيقة الواقع الذي نعيشه؟ ولماذا يوجد عندنا الجرأة أن نطلق على الروافض حكم. كافر ومرتد ومنافق وفاسق – كما في (السنة ٢٧ ص ٤٤) وهـــي أحكام بفضل الله صحيحة – ولكن لا نجد كلمةً واحدة في الحكم الشرعي لحكّامنا؟ أم أنّه يكـــفي أن يقال عنهم: متجبّر (السنة١١ ص١٩)، الزبانية (السنة١٥ ص١٥)، وغيرها من الألفاظ العامّة الـــتي لا تنشـــيء حـــركه شرعية مع هؤلاء الحكّام ومع هذا الواقع. وعلى هذا فليت هذه الحركة ومعها الأســـتاذ محمّد سرور تبيّن عن تصوّرها الشرعي للواقع الذي نعيش فيه، حكّاما، طوائف حاكمة، ونحن نقـــول هـــذا لا لأننا نجد أن هذه الألفاظ العامة تلوكها بعض الجماعات الإسلامية ويلعب بها حسب الحال

والحاجـــة، فالإخوان المسلمون مثلاً ملؤوا الأرض شرقاً وغرباً قولهم أن حكومات الشعوب المسلمة غير شـــرعية! فهم يجمعون الشباب على هذا اللفظ، وحين يميل الهوى تصبح إسلامية وفي الموقع الآخر غير إسلامية.

إن لفظ (غير شرعية) يحتمل عدّة معان. ونحن نتعبّد الله تعالى بالحكم الشرعي، فالمطلوب: إصدار حكم شرعي واضح لا يحتمل تأويلاً ولا مداهنة.

وممّا يوجبه علينا الحق أن نقوله: أن مجلة السنة لا تستثني حاكما من كشفه وتعريته وبيان واقعه الفاسد، لكنـــنا نقول: إن هذا كلّه لا يكفي كمنتهى، بل لا بد أماناً من الانحراف وتغيّر المسير، وانحراف الطريق من المحاولة الجادّة في دراسة الأمر من قبل سرور وجماعته دراسة شرعيّة لهؤلاء الحكام وإصدار حكمٍ شرعي واضح لا لبس فيه ولا غموض.

إن عدم وجود الوصف الشرعي للواقع وعدم وجود الحكم الشرعي الصريح يجعل الجزم محتوماً أن البناء الداخلي لسرور وجماعته ضعيفٌ جداً ولا يختلف شيئاً عن جماعة الإخوان المسلمين.

ولـــولا أنـــنا (في هذه الدراسة) نُعرض عن الممارسات، والتصرفات في الحكم على الأفراد والجماعات لأكثرنا للأخوة المجاهدين الأمثلة في بيان تضارب الأشخاص (المنتمين للأستاذ محمّد سرور) واختلافهم فـــي تصـــوّرهم الشرعي لهذا الواقع، بل لعل خطب الجمعة في مركز المنتدى الإسلامي (بلندن عاصمة أنجلـــترا) تدلّـــك عـــلى هذا الاضطراب في الشخص الواحد والخطيب الواحد. ما قلناه عن الأستاذ محمد سرور في بنائه الداخلي نجده بعينه في منهجه في التغيير لأن اضطراب التصوّر الشرعي الصحيح للواقع يفـــرز ولابـــد اضـــطرابا في السلوك والمنهج، والأمثلة كثيرة: الأستاذ محمّد سرور يؤمن بمبدأ الوحدة والتجميع على أساس قاعدة أهل السنة والجماعة وهذه إحدى شعاراته التي رفعها كما ذكر في السنّة رقم (١) وما تلاها كذلك، لكن من هي الجماعات التي يريدها سرور ويدعو إلى وحدتها:

أ – مـــدح سرور في السنة رقم (١٤) جماعة جاب الله (حزب النهضة الجزائرية) وكان معيار تزكية هذه الجماعة كما ذكر هو: الأستاذ جاب الله قد سمعناه في خطبة بتحدث عن المؤامرة ضد الإسلام والمسلمين، وهـــو مـــن الداعيـــن إلى وحـــدة الجماعـــات والمواقـــف بيـــن الفصـــائل الإســـلامية (ص ٣٤). فهـــل هذا هو معيار الصواب عند سرور؟ وهل كل من فعل ذلك ينبغي الوحدة معه؟ أين منهج أهل السنّة في الجرح والتعديل؟.

ب – فـــي الســـنّة رقـــم (٣٠) نشر محمد سرور رسالة تحت فقرة (مع القراء) من داخل ليبيا أزال منها سرور حسب ما ذكر. قسماً آخرا. خوفا على الشباب المضطهدين في ليبيا، وأبقى فيها حسب مفهومه: (ما لا يضـــر)، ومما أبقى فيها قول هذا الشاب (الصبي): رغم أننا هنا والحمد لله نتمتع بالفكر السلفـــي. فكر سلفنا الصالح – ولا نحمل – والله أعلم – أي أفكار منحرفة كأفكار التكفير أو الجهـــاد التي طالما يخاف منها المسؤولون العرب في كل مكان. اهـــ.

ولـــم يعلّق سرور على هذا النص شيئاً، وهـــو كلام يثير الاشمئزاز ولا بد: ففكر سلفنا الصالح: ليس فيه تكفيـــر (تكفيـــر مـــن؟) وسنحمل العبارة على الوجه الحسن: أي فكر جماعة التكفير والهجرة (الخوارج الجدد).

لمـــاذا لـــم يعلّق سرور على هذا النص العام؟ على كل حال ربما له عذره. لكن الطامّة قوله: أو الجهاد. وهـــل فكـــر الجهاد فكر منحرف يا سرور؟ وهل من قال أن جهاد هؤلاء الطواغيت (كالقذافي حاكم البلد الـــذي صدرت منه الرسالة) هو انحراف عن أهل السنّة والجماعة؟ وهل قائل هذا القول عنده مسكة من عـــلم شرعي أو مرت عينه يوماً على حديث الطائفة المنصورة، وأنها طائفة مجاهدة؟ ألا حسيبكم الله. ثمّ هل فكر السلف الصالح لا يخيف الطواغيت حقاً؟ أم هكذا تربّى الأجيال ويُعلَّم الشباب؟.

ج – نشر سرور في السنة (٤١) الوثيقة التي أصدرتها بعض الجماعات المجاهدة التي لم تتحد تحث راية الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر، وكان الواجب الأخوي يقتضي من سرور أن ينشر وثيقة الوحدة التي صدرت قبلها ولكنّه لم يفعل، وهذا انحياز واضحٌ من سرور إلى جانب الفُرقة وعدم الوحدة، ألا ليت الشيوخ لا ينسون شعاراتهم عند تدافع الأهواء.

(2)سرور والانتخابات: في السنة رقم (٤) يقول محمّد سرور: لا أعتقد أن الانتخابات تصلح كوسيلة من أجل أن يكون الدين كلّه لله، وأحسن الاحتمالات أن يحقّق الإسلاميون إنجازاً طيّباً ويحقّق الجاهليون إنجازاً آخرا وقد تكون النسبة الأولى أكثر من الثانية. اهـــ. (ص٣٩).

ويقـــول بعدها: ومع ذلك فاختياري لهذا الموقف لا يتعارض مع دعم إخواننا الذين يرون خوض المعارك الانـــتخابية... فقد ينجحون في تحقيق خيرٍ كثيرٍ فيكون ذلك شذوذا عن القاعدة، وإن لم يحققوا هذا الخير فنكون باختيارنا ودعمنا لهم قد أغلقنا الطريق أمام المفسدين. اهـــ.

فكمـــا ترى أن موقف محمّد سرور من الانتخابات موقف متميّع لا وضوح فيه، وليس هو موقف شرعي لأن قولـــه: "الانـــتخابات لا تصـــلح وسيلة لإقامة دين الله تعالى". فعدم الصلاح ليس كافيا لتصوّر حقيقة الانتخابات من الوجهة الشرعية، وهذه الميوعة الفكرية هي التي سمحت لأحمد بلوافي أن يقول في السنّة رقـــم (١٩) تحت عنوان: وأخيراً عادت الجزائر إلى الحظيرة. يقول: وفي الحقيقة فإن كثيراً من الإخوة الذيـــن لهـــم موقـــف من الانتخابات والديمقراطية ينتقدون الجبهة، وموقفهم هذا غير صحيح لأن الجبهة حاولت أن تستغل مثل هذا الطريق لكنها لا تؤمن بالمفهوم الغربي للديمقراطية، ولا بالدستور الذي سطره ابن جديد وزبانيته. (ص٤١) مع أنه يقول بعد ذلك في (صفحة٤٥): إن ما حصل في الجزائر يبين طبيعة هذا الدين واستحالة إقامة حكمٍ إسلامي عير نهج الديمقراطي الغربي، إلا أن هذا لا يمنع من الاستفادة من جو الحرية إن فسح للإسلاميين المجال.

ومع أن هذا الكلام من سرور ومن أحمد بلوافي يضرب بعضه بعضاً إلا أن الخلاصة هي: جواز الدخول في اللعبة الديمقراطية بشرط عدم الإيمان بها كوسيلة توصل إلى النتائج.

وهذه النتيــجة ولا شك لُغز فكري يحتاج إلى حل.

وليت الإخوة يقرؤون حيرة الدكتور عبد العزيز الشيخ في السنة رقم (٢٩) أمام هذه المواقف. واضطراب الناس في البرلمان وحكمه الشرعي حسب ما تمّ في تجربة الجزائر.

(3)سرور والجهاد: موقف سرور من جهاد الطواغيت مضطرب ككلِّ الأفكار التي يحملها وإليك الحقيقة:

أ – فــي السنّة رقم (٣١) د. عبد العزيز يتباكى على جماعات الجهاد في مصر ويقول: وجماعات الجهاد عازمة فيما يبدوا على ألا تضع السلاح بعد أن أُرغمت على حمله ثأراً للدماء والأموال والأعراض، بعد الغضب للدين الذي أهين على ألسنة المنافقين والزنادقة (ص٩٠).

وفي (ص٩٨-٩٩) يؤيِّد جماعات الجهاد ضد العلمانية.

ب – في السنة رقم (٩،١٠) سرور يمدح قاتل السادات (ص١٠).

ج – أحمد الغريب يقرّر أنّ حمل السلاح في الجزائر مسرحية للكيد بالدعاة، وهي كمسرحية حمل السلاح في مصر وحماة (سوريا). (ص٨١).

د – في السنة رقم (١٥) مدح الجهاد الأرتيري، وهو جهاد ضدَّ طوائف الحكم الكافرة (ص ٧٦).

هـــ – سرور يشتم الشباب لأنهم يفقدون العلم والحكمة (السنة رقم١)، ويستغلّ عواطف الشباب في جلد الحكمــاء!! يقول في السنّة (٣٤) – ولم يذكر كاتب المقال –: يا علماءنا إنّ الشباب من الدعاة إذا تكلّموا قــال الــنّاس: متحمّسون، متهوّرون! أمّا أنتم فأهل الخبرة والحنكة والحكمة.. الخ. في العدد الخامس من الســنة يــرد الأستاذ محمد سرور على جماعات الجهاد المقاتلة، ويبين عدم فهمهم لفتوى ابن تيمية التي تجــتمع عــلى وجــوب قــتال الممتــنعين عن الشرائع. يقول محذّراً الجزائريين من حمل السلاح: إن المجموعــات التي تخطط لهذه الأعمال (القتالية) قد جانبها الصواب، وخالفها التوفيق والسداد وإن المرء ليعجــب مــن العقــلية الــتي يفكّرون بها: فتارة يقولون بجواز قتل الشرطة والجند ويرون أن المقتولين يحشــرون على نياتهم، ويتوهمون أن شيخ الإسلام ابن تيمية أفتى بمثل هذا عند غزو التتار لبلاد الشام، وتارة أخرى يقولون: إن الشرطة والجند ورجال الأمن كفّار مرتدّون، ودليلهم على ذلك قوله تعالى: {إن فــرعون وهامــان وجــنودهما كانوا خاطئين}، هكذا يعزلون النص عن أسبابه، ويفسرونه كما يشاءون، ويهمــلون أقــوال كــبار الأئمة المحققين، ويتجاهلون النصوص الأخرى التي تخصص معنى هذا النص وتقيده، وفضلاً عن هذا وذاك فهم ليسوا من أهل الفتوى، ولا يجوز لهم أن يخوضوا في مثل هذه الأمور. اهــ النقل.

ومــع مــا فــي هــذا الكــلام مــن مغالطــات وأخطاءٍ فاحشة، إلا أننا نستفيد منه فائدتين مهمتين هما:

الأولى: نــرجو مــن سرور أن يحفظ هذا الموقف ولا يغيره إذا ما أخذ الجهاد في الجزائر بعده الحقيقي. وذلــك لأننا وجدنا مشايخنا حفظهم الله يغيّرون مواقفهم حسب الظروف، وما الجهاد الأفغاني عنّا ببعيد، أقول هذا لأني وجدت منه بعض الإشارات تشيد بالجهاد الجزائري كقوله في السنة عدد (٢٥) ص٢٤: إن

استمرار الحكم بالشريعة قضية تهم كل مسلم، فهذا وقت الجهاد من أجل تثبيت دعائم هذا الحكم (أي السوداني) ومن أجل التقاء أفغانستان مع السودان، ومن أجل سقوط النظام الجاهلي في الجزائر وعودة جبهة الإنقاذ. اهـ.

وانتبه إلى قوله: "فهذا وقت الجهاد" وكان موعد هذا الكلام في ربيع الثاني (١٤١٣هـ)، وكان قبلها في العدد (١٥) بتاريخ (صفر ١٤١٢هـ) قال: يا دعاة الجزائر لم يحن القطاف بعد، وبيّن أن حمل السلاح مسرحية للكيد بالدعاة كما حصل في مصر وسوريا (انظر ص١٥).

الفائدة الثانية: أرجو من أصحاب المنهج السلفي أن يعيدوا قراءة هذا النص بعيداً عن التقليد والعصبيّة ويتمعّنوا في قوله: هكذا يعزلون النصّ عن أسبابه... ولذلك فهم ليسوا من أهل الفتوى، ولا يجوز لهم أن يخوضوا في مثل هذه الأمور.

وهي عبارات لم نتعوّد سماعها، بل لم تطرق آذاننا إلا من المذهبيين المتعصّبين، أصحاب العصمة الكنسية في تحريم النظر في النصوص إلا لمن لا وجود له.

نعم هذه عبارة تعد في المنهج السلفي عبارة تزوير وحيدة عن وجه الحق والصواب في مناقشة الأمور وهي تبين لنا أن عقلية الأستاذ محمد سرور ما زالت تعمل خارج المنهج السلفي.

في العدد (١٦) تحت فقرة "مع القراء" يكرر الأستاذ محمد سرور تحذيره من حمل السلاح في الجزائر، ويكرر أن وضع بلادنا ومنها الجزائر تختلف عن واقع ابن تيمية عندما أفتى بقتال التتار. ومقاله جدير بالقراءة والحفظ، ومما قال فيه: لا يصح إسقاط فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية في التتار على أحداث الجزائر وذلك لأسبابٍ كثيرة منها: أن التتار غزاةٌ مستعمرون، وكانوا إذا احتلوا بلداً من بلاد المسلمين أهلكوا الحرث والنسل.. ومنها: أن الجميع قد تصدّى لهم نائب السلطان و جنده وعلماء الأمة ومختلف فئات الشعب، وعندما اختلف العلماء في قتالهم... وصدرت فتوى شيخ الإسلام لم يعارضها أحدٌ من علماء عصره ومنها: أنّه كان للمسلمين في بلاد الشام أرض يقفون عليها وكانت لهم قيادة شرعيّة ارتضاها الجميع رغم ضعفها.

ثم تابع قائلاً: ولا يجوز أن ينفرد بهذه الفتوى نفر من الشباب الذين يفتقدون أدوات الاجتهاد. اهـ.

والحق أن هذه المناطات التي علق عليها الأستاذ محمد سرور الخلاف بين الواقعتين لا أقول عنها إلا أنها جدٌّ مضحكة، بل هي في الميزان الفقهي أدنى من أن تنسب إلى فقيه أو عالم أو مفكر، وضيق المقام يمنعنا من بيان فسادها وانهيارها، لكن أرجو من الأستاذ محمد سرور أن يتبرّأ من هذه العبارات، وليتذكر أنّه أمام مسألة فقهية لا تعالج بالأسلوب الإنشائي، وأرجو أن لا يضطر مضطر إلى تحليل جهلها في الميزان الفقهي الشرعي، ويبين فيها من الذي ينبغي أن يقال له: تفتقد أدوات الاجتهاد.

(4)محمد سرور والجيش:

أ – فـــي السنّة عدد (٢٣) يحكم الأستاذ محمد سرور على جنرالات الجيش الجزائري بالكفر والردة حيث يقول: إن كفر جنرالات مجلس الرئاسة لا يشك بها عالمٌ منصف، ويسوق الأدلة على كفرهم وهي: يوالون أعـــداء الله، ويشنّون حرباً لا هوادة فيها على أولياء الله، وإعراضهم عن دين الله واضح لكل ذي بصيرة. انتهت عبارته.

ب – فـــي السنة رقم (١٥) يقول الأستاذ محمد سرور عن ابن جديد الرئيس الجزائري السابق: بجرة قلم ألـــغى النظام الاشتراكي... ثم طلب من العسكريين أن يعتزلوا العمل في الحزب الحاكم فاستجاب الجيش كلّه.

ويقول فيها كذلك: وإذاً فإن رؤساء الحكومات وقادة الجيش وما تبقّى من تركة حزب جبهة التحرير الحاكم أدوات يستخدمها ابن جديد لتثبيت نظامه الطاغوتي. اهـــ.

فالجيش إذاً بيد الحاكم ابن جديد.

ج – في السنة رقم (٥) يقول الأستاذ محمد سرور: أما الذين يهددون بتدخل الجيش واستخدامه ضد الدعاة والجماعات الإسلامية فعليهم أن يتذكروا جيّداً أن الجيش من هذا الشعب المسلم، وقد ولّى الزمن الذي كان فيـــه الظـــالمون يستخدمون الجند كما يستخدمون متاعاً من أمتعتهم، إن الواجب يحتم على الإسلاميين أن يهتموا بإخوانهم العسكريين. اهـــ.

فالجيش ليس بيد ابن جديد، وهو جيش مسلم، لأنه من الشعب المسلم.

د – في السنّة رقم (٣٦) يورد الأستاذ محمد سرور تقريراً عن حقوق الإنسان في الجزائر ومما يذكر فيه: حتى المساجد لم تسلم من أساليبهم الخسيسة، وعند اقتحام المنازل يقوم أفراد القوات الخاصة (NINJA) الملثّمين بتكسير وتدمير ما يصادفهم من أثاث منزلي وأجهزة ومعدات.. أما الاعتقال في المساجد فإنه لا يراعي فيه حرمة هذه الأماكن المقدسة، وتسفك فيها الدماء في أحيان كثيرة بل ذهب الأمر ببعض أعوان الشرطة إلى أن داس على المصحف برجله. اهـــ.

إذاً أعوان الشرطة يقتلون الناس وينهبون البيوت ويسطون على الأعراض ويسفكون الدماء ويدوسون على المصاحف.

هـــ – في السنّة (٥) و(١٦): يدافع عن الجند وأن فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية لا تنطبق عليهم كما تقدّم.

و – فـــي السنّة رقم (١١) يقول الأستاذ محمد سرور: أخي الجندي.. أنت أيها الجندي الذي هدمت مدينة حماة مرّتين ولم تتردد في دكّ مساجدها وتحويلها إلى أطلال.. أيها الجندي: أنت الذي قتلت مروان حديد، وممدوح جولحة، وعبد الستار الزعيم.. في كل ركن ومدينة من عالمنا الإسلامي لك ضحايا وآثار تُنفِّرنا منك. اهـــ.

ومع ذلك فالتتار فقط هم: – كانوا إذا احتلّوا بلداً من بلاد المسلمين أهلكوا الحرث والنسل. وهذا لا ينطبق على الجند وأعوان الشرطة السنة (١٦).

أظــن أخـــي المجاهد أنك تدرك الآن هذا الكلام يضرب بعضه بعضاً بقوة واضحة لا تقبل تأويلاً. ولولا ضيق المقام لكشفنا لأعشى العين هذا الاضطراب بل التضاد.

(5)سرور واغتيال الطواغيت:

أ – في السنة رقم (٣٤) تحت عنوان أول الغيث قطرة: تذكر (السنة) كلاماً طويلاً عن الوضع في مصر ويســوق قضـــية فرج فودة. فلا تدري هل يمدح قاتلي فرج فودة أم لا. لكنه لا ينسى أن يذكر موقفه من جماعات الجهاد بقوله: "وأنا لا أنكر دور المجموعات الإسلامية المتشددة" وذلك في تذكية صورة الإسلام السياسي القبيح في الصحافة المصرية.

ب – فـــي السنة رقم (٣١) يسوق الأستاذ محمد سرور كلاماً على وجه المدح لما قام فيه طلاب مروان حديد وأعوانه من أعمال جهادية في سوريا (الافتتاحية).

ج – في السنة رقم (٩) و (١٠) يمدح الأستاذ محمد سرور قاتل السادات، قال الأستاذ: ولكن الله كان لهذا الخـــائن (السّادات) بالمرصاد حيث أقدم أحد المؤمنين بالله من العسكريين المصريين على قتله يوم زينته وجعلـــه عبرة لمن يعتبر، رحم الله قاتله – خالد الإسلامبولي – رحمةً واسعة وأدخله فسيح جنانه. وفيها كذلـــك يذم كبار العلماء في السعودية وغيرها الذين يفتون بحسب هوى السلطان هناك حيث يقول: عجيبٌ أمـــر كـــبار العلماء المعتمدين من قبل حكومات هذا العصر.. كانوا (كذا) لا يردون لرؤسائهم أمراً، ولا يقدِّمون على قولهم قولاً.

د – فـــي الســـنّة (٣٣): الأستاذ محمد سرور يعلن عدم رضاه عن طريقة أتباع الشيخ عمر عبد الرحمن المصري (أي الجماعة الإسلامية المصرية). وعدم رضاه عن طريقتهم في العمل.

وفي النهاية فالأستاذ محمد سرور له جهد مشكور في بناء العمل الإسلامي، ولكن ليس هو ممن وصل إلى الأمل المنشود في وصفه لهذا الواقع من الناحية الشرعية، ولم يصل بعد إلى ما نرجو منه في فقه الطائفة المرتدة وقتالها، وأرجو من الأستاذ ومحبيه أن ينظروا إلى ما بينّـــا بعين الإنصاف والعدل، والله الموفق.

عبد الكريم مطيع (مغربي)

سـيد قطب مدرسة مباركة وشجرة طيبة، أينعت ثمارها طيْباً وشذىً في كل مكان، وانتفع المسلمون بهـا، وأصـابوا مـنها عمق البحث، وجديّة العمل، واعتزازاً وثقة بالإسلام، وأدركوا فواصل الحق مع الخصوم على مختلف درجاتهم، وكان الأستاذ عبد الكريم مطيع ممن قطف بعض هذه الثمار. الأستاذ عبد الكريم مطيع – من المغرب العربي – مؤسس حركه الشبيبة الإسلامية المغربية سنة ١٩٦٩ وهي حركة جهاديـة، أدركـت مبكّراً فقه الطائفة المرتدة، وعلى هذا فإنها أطّرت نفسها كحركة معسكرة، تؤمن بأن التغيير يبدأ بالنّفس، وأن هؤلاء الحكام الكفرة المرتدين – ومنهم الخبيث الحسن الثاني – لن ينفع معهم إلا السلاح والقوّة.

للأسـتاذ عبد الكريم مطيع كتاب "الثورة الإسلامية قدر المغرب الراهن" وله عدة أشرطة سمعية من خلالها نستطيع أن نطّلع على عقلية الأستاذ ومنهجه.

أ) فهـم الأسـتاذ لـلواقع: على صغر كتاب الثورة الإسلامية، إلا أنّه يلفت نظرك إلى عمق البحث والـنظر في بلده المغرب، في صَدْر الكتاب يطرح الأستاذ القتل والقتال أنّهما سنّة كونية أصيلة لا تتغير، ويجعل مدخل وجوب قتال طائفة الحسن الثاني المرتدّة في المغرب هو معرفة العضو لحالة بلده وواقعه. يقـول فيـه: إن الشـعب المغـربي قد تحوّل إلى جماهير من المستضعفين تحكمها طائفة من المفسدين المسـتكبرين تحول بينهم وبين عقيدتهم، وبينهم وبين خيرات أرضهم وثروات بلادهم، وحقهم في تسيير أمورهم بأنفسهم... فهل يقود دعاة الإسلام هذه الثورة؟ هل يتجرّؤون على قيادة ثورة الشعب المسلم التوّاق إلى الإسـلام الحق، وإلى العدالة والحرية؟.. إن الحل الوحيد المنقذ هو الجهاد، الثورة الإسلامية فهل نجد لها مجاهدين وثواراً؟ وهل نجد لها في صفوف الدعاة قادة؟. إن هذا الشر الذي طغى على الشعب المسلم ليـس له من دافع بعد الله إلا السيف وإن العصمة في السيف، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمـد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أيكون بعد الخير شركما كان قبله شر؟ فقال: (نعم).

قـلت: فما العصمة يا رسول الله؟ قال: (السيف).. ألا أيها الشباب المسلم.. لقد عمّ الشرّ.. والعصمة السيف.. إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفسادٌ كبير.

وفي داخل البحث يقوم الأستاذ بشرح الواقع المغربي شرحاً وافياً من جميع جوانبه: الطائفة الحاكمة، الأحـزاب السياسية، وخاصة اليسار (واليسار كان التيّار المسيطر على العالم الإسلامي يومذاك، وللأسف أنّـه اسـتطاع أن يسـرق الشـباب المسلم ببريق الثورة والقتال الذي تخلى عنه أهل الإسلام من مشايخ تقليديين، وعلماء سلطة وتنظيماتٍ إصلاحية).

ولعل من أهمّ ما يميّز هذا الفكر هو إدراكه لضلال الحركة الصوفيّة في داخل المغرب، يقول الأستاذ: وفي المجال الإسلامي لوحظ نشاط متزايد لوسطاء من نوع آخر هم بعض زعماء الطرق الصوفية الذين يحاولون بكل جهودهم إحياء هيئاتهم وتزويدها بدماء جديدة من الشباب المثقّف والاستفادة من الثقافات الإسلامية الحديثة بما لا يمس جوهر العقيدة الصوفية الذي يتلخّص فيما يسمّونه بالخلافة الباطنية، والخلافة الظاهرية. اهـ.

ويدرك الأستاذ لعبة النظام المرتد في ضرب الشعب بعضه ببعض، وذلك بتقسيمه تيّارات وفرقاً حسب الأصول العرقيّة والنظم الفكرية، والكتاب جدير بالتيّارات المجاهدة أن تقرأه وتفيد منه لأنه نموذج من النماذج الواعية في إحياء روح الجهاد وتذكيته وهو صورة مقابلة لرسالة الشهيد مروان حديد التي أعلن من خلالها حركة الجهاد في سوريا الشام المباركة.

ب) كيف يفهم الأستاذ عبد الكريم مطيع التيارات الإسلامية الأخرى؟: في شريط نادر له تحت عنوان: "الأصالة والسلفية والتجديد"، يقسّم الأستاذ تيّار التجديد إلى ثلاثة أقسام: أولاً: تيار التجديد الليبرالي/ منبهر بالغرب.

ثانياً: تيّار التجديد العلماني/ منبهر بالشرق.

ثالثاً: تيار التجديد من داخل الصف الإسلامي.

ويذكر فيه أن هذا التيار قد مرّ في ثلاث مراحل.

(١) المرحلة الأولى: مرحلة الدفاع عن الإسلام ضدّ تيارات الاستشراق والعمالة.

(٢) المرحلة الثانية: مرحلة قياس قيم الإسلام بقيم الغرب.

(٣) المرحلة الثالثة: مرحلة محاولة تقديم الإسلام مستقلاً عن النظم الأخرى في إطار اجتهادات عائمة عامّة.

ثمّ يدعو إلى المرحلة السامقة السامية، ويدعو أفراد تنظيمه لتُمثِّلها وهي: تقديم الإسلام القرآني السُنِّي من منابعه شاملاً كاملاً، مع تقديم الحلول بعيداً عن الأهواء والبدع والخرافات.

ج) السلفية عند الأستاذ عبد الكريم مطيع: في شريطه متقدّم الذِّكر "الأصالة والسلفيّة والتجديد" يأتي الأستاذ بغريبة عجيبة وهي التفريق بين الأصالة والسلفيّة. حيث يجعل الأصالة هي العودة إلى الكتاب والسنّة بعيداً عن هيمنة الأفكار البشريّة. أي التراث وذلك باعتباره جهداً بشريًّا. ويجعل السّلفية هي اجتهادات بشريّة قام بها السلف الصالح.

أما التجديد فهو اجتهادات بشرية متنطعة قام بها الخلف (هداهم الله) يقول حول ذلك: الأصالة تعني الرجوع إلى الكتاب والسنّة النبوية الصحيحة اللذان خرَّجا خير القرون.

والتجديد: محاولات الخلف الصالح والطالح، كلّ حسب مفهومه وأهدافه وطموحاته، وأما السلفية فهي تعني ما كان عليه السلف الصالح. وهم بشر غير معصومين..

ثــمّ يــتابع قــائلاً: إنّ التعــلق بالسلف الصالح رمزا للإسلام الأصيل واتّخاذه شعاراً لحركة البعث الإســلامي الحديــث، يــؤدّي إلى فتح ثغرة تسلل منها أعداء العقيدة من العلمانيين والشيوعيين وضلال المذاهــب الوضــعية وطوائــف الأقليّات الدينية غير المسلمة الطامحة إلى الهيمنة على الأمة في محاولة لطمــس معالم الدين، بالتركيز على سيرة السلف الصالح وآرائهم واجتهاداتهم واعتبارها نصوصا دينيّة، وبذلك أضفوا على سيرة السلف الصالح قدسيّة القرآن والسنة، وأضفوا على القرآن والسنّة بشريّة السلف الصــالح، فسهل عليهم المراء والجدل والتّلاعب بالأحكام، والتشكيك في ربّانية الإسلام، ذلك لأن اعتبار الكتاب والسنة من جملة التراث يجعلهما موروثاً بشرياً فكرياً، لا تتداوله الأمة جيلاً بعد جيل إلا باعتباره عنوان عبقريتها ونتاج فكرها. اهــ المراد.

وهــذا القــول فيه خلط لقضايا مختلفة، وعدم وضوح عند الأستاذ فيما يخصّ المنهج السلفي. بل فيه خلط بين دعوتين وتصوّرين مختلفين ومتضادّين. فالذين يعتبرون السلفية هي العودة إلى اجتهادات البشر من السلف الصالح، وعدم الخروج عنها ومنها هم أهل التقليد من المذهبيين والمتعصّبين وليسوا هم دعاة المنهج السّلفي ولعل قراءة كتاب الأستاذ محمد عيد عبّاسي "بدعة التعصب المذهبي" تكفي في شرح مفهوم الســلفية لهــذه النقطة، وخاصة تلك الفقرة التي يردّ بها على محمّد سعيد البوطي حين يتّهم السلفية بأنهم يلــتقون مع المستشرقين في أن الفقه الإسلامي هو نتاج فكري بشري، وهذا حق فإن الفقه هو نتاج فكري بشــري، واجــتهاد الإنســان، قام به علماء وأئمة، ولكن الأرضية التي صدر منها هذا النتاج هو الوحي الــرباني والكتاب والسنة، والأستاذ عبد الكريم حين يدعو إلى الأصالة وهي تعني: الرجوع إلى الأصلين المقدســين؛ فإن هذه العبارة بهذا الإطلاق هي دعوى وزعم جميع الفرق المنتسبة إلى الإسلام فالكل يزعم أنه من دعاة العودة إلى المصادر االمحفوظة.

ولكــن الفارق بين الصحيح والسقيم، بل بين السنّي والبدعي، هو السؤال الآتي وهو: ما هو المنهج العــلمي الصحيح في التعامل مع الأصلين؟ فدعاة المنهج السلفي يجعلون منهج السلف الصالح هو المنهج الحق في التّعامل مع الأصل، وأمّا ما يخرج بعد ذلك من نتائج اجتهاديه فهي جهدٌ بشريّ، وأمّا خصومهم سواء كانوا من دعاة التجديد أو من المذهبيين، فهم إمّا بجعلهم كلّ قولٍ لمجتهدٍ وفقيه قديمٍ (سلفي) هو نصٌّ مقــدَّس، وإمّــا أن ننفــلت من ضوابط ومقاييس وشروط التعامل مع الأصل المقدّس. وهما طرفا إفراطٍ وتفريط.

والصحيح هو أن ندعو الناس إلى العودة إلى الكتاب والسنة (ولا قدسية إلا لهما) مع وجوب التّعامل معهما في استنباط الحقّ منهما من خلال منهج خير القرون.

وأمّــا نتاج السلف الصالح فهو بين مقبول ومردود (وذلك بحسب قربه من الحق) والمسألة اعتبارية ونسبية. والله الموفق.

مـــا نقوله عن الحزب هو قولنا عن كل فرد من أفراد الحزب، لأن الحزب ألزم أفراده ظاهراً وباطناً بكـــلِّ ما يتبناه الحزب، واشترط بقاء العضو في داخله أن لا يقول قولاً، ولا يصدر موقفاً إلا قول الحزب وموقـــف الحـــزب، وإذا تبنّى العضو قولاً غير قول الحزب فإنه مهدد باتّخاذ الموقف المناسب منه وهو الطرد.

يقول الحزب في نشرةٍ له: (أما الحزب فإن تبنّيه يجبر كل حزبيّ على تبني ما تبنّاه، وعلى العمل بما تبناه على العمل في الظاهر والباطن، لأن الحزبي يتبنى ما تبناه الحزب، فصار ما تبناه الحزب هو وحده حكم الله في حقّه فله وحده يجب أن يدعو، وبه وحده يجب أن يعمل).

ويقـــول فـــي نشرةٍ في شهر آب سنة١٩٧ تحت عنوان أجوبة أسئلة: (فلا يصحّ لأيّ شابٍّ أن يؤلّف كتاباً أو يصدر صحيفة أو يكتب مقالاً أو يناقش أحداً مجرَّد مناقشة بأي رأيٍ يخالف آراء الحزب فإن كلّ شابٍّ قد تبنى آراء الحزب تبنياً، فلا يحل له أن يخالفها لا فكراً، ولا قولاً ولا عملاً، وإذا صدر منه شيء من ذلك يعالج ثمّ ينذر ثمّ يُتّخَذ بحقّه الإجراء المقتضى).

هـــذا بالنســـبة للأقوال المتبنّاة، وأما غير المتبناة فيقول في نشرة بتاريخ١٩٧٠/٧/٢٤ تحت عنوان، أجوبـــة وأسئلة عن شركات المساهمة، يقول: (لذلك فإن الورع فضلا عن الانصهار الحزبي يقضي على الشـــباب بعدم مخالفة ما يخرجه الحزب من آراء غير متبناة"). ويقول في نفس النشرة:(والحزب يكره أن يُخَالِفَ شبابُه ما يصدر عنه من كتبٍ ونشرات وآراء).

وذكـــر أن مـــن أســـباب هذا هو:(أن المشاهد المحسوس أن الشاب الذي يخالف أفكار الحزب سواء المتبناة أو غيرها يبدأ في الضمور ثم ينتهي به ذلك إلى السقوط).

أما الفرق بين المتبنّى وغير المتبنى فيقول في نشرةٍ بتاريخ١٩٧٠/٧/٤: (إن الكتب المتبنّاة هي التي كتب عليها (من منشورات حزب التحرير) وهي الكتب التي تدرّس في الحلقات مثل "المفاهيم والشخصية ونظـــام الحكـــم" وغيرها، أمّا باقي الكتب التي لا تحمل هذه العبارة فهي غير متبناة وإنّما هي عبارةٌ عن أبحاث مهمّة وضعت بين يدي الشباب والناس، لتثـــقيفهم وإعانتهم على فهم هذه الموضوعات).

والحزب ينبّه أن لا فرق بين القيادة والقاعدة، فيقول في نشرة بتاريخ١٩٧١/٥/٧ تحت عنوان "جواب ســـؤال" يقول: (يجب أن يكون معلوماً بيقين أن قيادة الحزب لا تزيد في مقدّراتها عن شباب الحزب، ولا يوجـــد شيء مهما قلّ يجعل لديها ما ليس لدى شباب الحزب من قدرة ومعرفة وغير ذلك، فمثلها مثل أي شـــاب وأمـــا مـــا يلاحظ من أعمال وأفكار فإنه نتيجة ما أعطيت من صلاحيّات، وليست نتيجةً لمجهود شخصي أو تميز استعدادي، بل هو فقط نتيجة صلاحياتها المعطاة لها ليس غير...) اهـــ.

ومـــع أن هذا الكلام يحتاج إلى تعليق موسّع إلا أننا سنقتصر على نقطتين، مع ما قدّمنا من إفادته أن لازم الحـــزب لازم أفراده، فلا يقولنَّ قائل من حزب التحرير: قول فلان من الحزب لا يمثّلنا، كما يهرب عـــادة أفـــراد التـــنظيمات الإســـلامية مـــن أقـــوال قـــادتهم، وتصـــريحاتهم بأنهـــا ليســـت مـــلزمة. أمـــا المضـــيّق المعيـــن فهو بلا شك أن هذا اللزوم بدعة جديدة لم يجرأ أحدٌ من قبل أن يُلزم بها أتباعه، وقولهـــم هـــذا يجعـــل الحزب، وأفراده هو صورة جديدة لمذهب جديد فيه من التعصب ما يفوق تعصب المذهبيين لأئمتهم.

الحـــزب يقـــرر أن هـــذا اللزوم جاء لخصوصية الصلاحيات التي وسدت للقيادة وليس لمزايا علمية وعقلية، وهذا قول غريب عجيب يكفي أن يرده المسلم متى تصوّره وفهمه فهماً صحيحاً.

والآن ما هو حزب التحرير؟:

جاء في التعريف بالحزب في آخر صفحة من كتاب المفاهيم ما نصّه: (حزب التحرير حزب سياسي مبدؤه الإسلام).

وجـــاء فيه ما نصه: (يجب أن تكون الكتلة التي تحمل الدعوة الإسلامية كتلة سياسية، ولا يجوز أن تكـــون كتلة روحية، ولا كتلة أخلاقية، ولا كتلة علمية، ولا كتلة تعليمية، ولا شيئاً من ذلك ولا ما يشبهه، بـــل يجـــب أن تكون كتلة سياسية، ومن هنا كان حزب التحرير – وهو حزب إسلامي – حزباً سياسياً، يشـــتغل بالسياســـة، ويعمـــل لأنـــه يـــثقّف الأمـــة ثقافـــة إســـلامية تـــبرز فيهـــا الـــناحية السياسية). وجـــاء فـــي كـــتاب التكتّل الحزبي ما نصّه: (أن الحزب يشرف على فكر المجتمع وحسه ليسيرهما في حركات تصاعديّة، ويحول بين المجتمع وبين الانتكاس في الفكر والحسّ، وهو مدرسة الأمة التي تثقّفها، وتخرجها وتدفعها إلى معترك الحياة العالمية).

وفـــي نشرة بتاريخ١٩٧٠/٨/٧ تحت عنوان "مفاهيم متبنّاة" يقول الحزب: (إن الحزب ليس من غايته أخـــذ الحكم، بل غايته هي استئناف الحياة الإسلامية، وحمل الدعوة الإسلامية، فإذا حصل استئناف الحياة الإسلامية فقد تحققت إحدى غايتيه).

أمـــا تعـــريف السياســـة عنده فهي رعاية شؤون الناس بالأحكام الشرعية. والصراع الفكري هو نقد الأفكـــار بالأسلوب اللاذع. والكفاح السياسي هو نقد أعمال الحكام بالأسلوب اللاذع. نشرة بتاريخ١٣/٧/ ١٩٧٤ تحت عنوان أجوبة الأسئلة.

هذا هو الإطار العام للحزب وقد طرح نفسه على الناس على هذه الصورة، وأرجع كل مسائل الدين، وأصـــل بعـــثة محمّد صلى الله عليه وسلّم إلى هذا الإطار، فهو يسمّي الصحابة المكيين الذين أسلموا قبل الهجـــرة بالكتـــلة، بل يسمّيها كتلة سياسية كما تقدّم، أي أن النبي صلى الله عليه وسلم طرح نفسه للناس كحامل المبدأ. والمبدأ في تعريف الحزب هو عقيدة عقلية ينبثق منها التصوّر عن الكون والحياة. وكمكافح

سياسي وجمع حوله: (كتلة سياسية تقوم بعملية الصراع الفكري والكفاح السياسي ليسود المبدأ الذي حمله الداعي الأوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم).

وعـــلى ضوء هذا الفهم العام للحزب قام الحزب من خلال نشراته بالتحذير من الوقوع في الفتن التي تحرف الحزب عن هذا المسار، واعتبر أي تغيير لهذه المفاهيم هو ضلال مبين وانحراف خطير.

يقـــول الحـــزب في نشرة بتاريخ١٩٧٠/٦/٢٦ تحت عنوان "جواب سؤال": (صورة حزب التحرير الـــتييحاول أن يجعلها تنطبع في أذهان الناس هي صورة القائد الواعي، صورة السياسي المبدع، صورة المفكّـــر الحصيف، صورة الحاكم العادل، فهو يهدف إلى قيادة الأمة للصّراع مع الشعوب والأمم، ويريد إنهاضـــها النهضـــة الصـــحيحة بالفكر المستنير، ويسعى لأخذ سلطانها ويرعى شؤونها ويتولّى أمرها). ويقـــول في نفس النشرة: (وإعطاء المسلمين عن حزب التحرير صورة المفتي يجعلها تصلي خلفه لا أن تنقاد له، ويجعلها تقصده للعلم لا للحماية ورعاية الشؤون، لذلك فإنا إذا أردنا أن نأخذ قيادة الأمة فلا بدّ أن تـــأخذ الأمة عنا صورة القائد، صورة السياسي، صورة الحاكم القوي، ولا سبيل إلى ذلك إلاّ إذا أعطيناها صـــورة حزب التحرير، لذلك كان من ألزم الواجبات أن تكون كلَّ صورة الحزبي لدى الأمة هي صورة الحزب، أن تكون شخصية كل حزبيّ عند الناس شخصيةً سياسيةً نضالية، تحاول أخذ قيادة الناس لخوض غمرات الكفاح).

ويقول في نفس النشرة: (حزب التحرير لا توجد لديه صفة المفتي لأنّه لا يتصدّر للفتوى، ولا يبحث عن أفعال الأفراد بوصفهم أفراداً ليعطي الحكم الشرعي لها، وإنّما هو سياسي يرعى شؤون الناس بأحكام الشـــرع، وهـــو لا توجد لديه صفة العالم لأن عمله ليس التنقيب عن المعرفة في الكتب، وإن كان يراجع الكتب لطلب المعرفة، فالتنقيب عن المعرفة ليس عمله وليس غايته، وإنّما هو وسيلة لعمله وهو السياسة، وهـــو كذلـــك ليس واعظاً يذكّر الناس بالآخرة ولا يصرف النّاس عن الدنيا بل يرعى شؤونهم ويبصّرهم بالدنيـــا لـــتكون لهم سيادتها، ويجعل غايتهم من الدنيا سعادة الآخرة، ونوال رضوان الله، وهو أيضا ليس معـــلِّما وإن كـــان يثقِّف الناس بالأفكار والأحكام، فتعليم المعارف المجردة ليس عمله ولا يعني نفسه بها، وإنّمـــا العمل بالأفكار والأحكام هو ما يهدف إليه، فيعطي المعارف مربوطة بواقعها وظروفها كسياسة لا كعـــلم، ورعايـــة شؤون لا كتعليم.ولذلك إن من الظلم أن يقال عن الحزبي أنَّه مفتٍ، ومن الانحراف أن يصبح الحزب مفتياً).

ثـــم يتابع قائلاً: (ومن هنا تظهر فظاعة أن ينقلب الحزب إلى مفتى وأن يصبح شباب الحزب مفتين، فإن ذلك هو الهلاك المحقّق لا للشباب فحسب ولا للحزب وحده، وإنّما للأمة التي يقودها الحزب، وللمبدأ الـــذي يحملـــه، إذ يحوّـــله مـــن وجهة نظرٍ في الحياة إلى معالجة فرديةٍ ليس غير، إن الحزب قد جرت محاولات ثلاث لفتنته عن حقيقته بجرّه عن السياسة إلى الدين والفقه).

ثــم يقــول: (إن حــزب التحرير وهو حزب إسلامي من حيث مبدئه، ليس حزباً إسلامياً كالتكتّلات الإســلامية، فهــو لا يعلّم الناس الإسلام ولا يدعو المسلمين للإسلام، ولا يعظ الناس بالإسلام، فالإسلام مــبدؤه وليــس عملــه، والإسلام أساسه وليس صفته، فهو يتولّى السلطة حين يتاح له أن يتولاَّها ليرعى شؤون الناس فعلاً، ويحاسب السلطة في جميع الأحيان سواء أكان في الحكم أو خارج الحكــم، فعمله كلّه محصورٌ بالسياسة، إمّا عمليّاً بمباشرتها وإمّا نظريًّا بمحاسبة الحكّام على أساس الإسلام).

ويقول:(من أجل المحافظة على بقاء صورة الحزب لدى النّاس كما هي بأنَّه حزب سياسي ليس غير، ولحماية الشباب من أن يخرجوا خارج إطار الحزب فيصبحوا شيئاً آخر غير الحزب، كأن يصبحوا مفتين أو علماء أو وعَّاظاً أو معلمين فإنه لا يصحّ تصدّر الشباب للفتوى فيقصده الناس للاستفتاء) اهــ.

كــنت قــد أردت أولاً أن لا أعلِّق ولا أناقش الحزب في طرحه لنفسه، وقلت إنّ طالب العلم حتى لو كان مبتدئاً فإنه سيكتشف عمق الخلل، وانحراف المنهج في داخل الحزب، والعبارات السابقة التي تقدّمت فــي المقــال من نصوص الحزب كافية للحكم عليه بمجرّد قراءتها، ولكني شعرت أن بعضهم بحاجة إلى توضــيح المراد من العبارات كما تدل على نفسها بنفسها، ولذلك سأخصّ هذه الحلقة لمناقشة ما تقدّم من طروحات للحزب من خلال عبارتيه السّابقة، وبعض الكواشف لها من عبارات أخرى للحزب. إنّ أوضح العبارات التي تشرح حقيقة الحزب هي العبارات التالية:

إنّ حزب التحرير هو حزب إسلامي من حيث مبدئه ليس حزباً إسلامياً كالتكتلات الإسلامية، فهو لا يعــلّم الناس الإسلام، ولا يدعو المسلمين للإسلام، ولا يعظ الناس بالإسلام، فالإسلام مبدؤه وليس عمله، والإسلام أساسه وليس صفته.

إن الحــزب قــد جــرت محــاولات ثــلاث لفتنته عن حقيقته، بجرّه عن السياسة إلى الدين والفقه. ولحمايــة الشــباب من أن يخرجوا خارج إطار الحــزب فيصبحوا شيئاً آخر غير الحزب، كأن يصبحوا مفتين أو علماء أو وعّاظاً أو معلّمين، فإنّه لا يصحّ تصدّر الشّباب للفتوى فيقصدهم النّاس للاستفتاء، تقدّم المرجع في العدد السابق.

على ضوء هذه النصوص التي تقدّمت فإنّ الحزب يرفض لأتباعه أن يصبحوا مفتين، علماء، وعاظاً، معلمين. وعلى ضوء هذه النصوص فإن الحزب لا يعلِّم الناس الإسلام لا يدعو المسلمين للإسلام لا يعظ الناس بالإسلام.

وعلى ضوء هذه النصوص التي تقدمت فإن الحزب لا يشترط في نفسه ولا في أفراده صفة الإسلام، (لأن الإسلام أساسه وليست صفته) كما يقول، والأساس هو المبدأ، والمبدأ كما تقدّم.

في تعريف الحزب: عقيدة عقلية والصفة هو الأمر الظاهر الواضح أي هو العمل والسلوك والحركة، فالحــزب يرضى من أفراده أن يؤمنوا بالإسلام السياسي، ويحملوا المبدأ الإسلامي في كفاحهم السياسي، ولا يرفض أن يتَّصفوا بغير الإسلام في أعمالهم وسلوكهم وحركة حياتهم.

وهــذا مــن قولــه: فالإســلام مبدؤه وليس عمله، فالحزب لا يشترط في نفسه ولا في أفراده العمل بالإسلام، بل إن العمل بالإسلام ليس عمله، ويرفض أن ينظر إليه كذلك.

وبإخراج كلّ هذه (الفتن) كما سمّاها الحزب، وبرفض كل هذه الأعمال التي يعتبرها الحزب انحرافاً عن الطّريق الصحيح لعمل الحزب، فماذا بقي من الإسلام ليحمله الحزب إذاً.

إنّــه يصــرّ على أتباعه أن يحملوا مبدأ الإسلام: العقيدة العقلية، ويقوموا بالكفاح السياسي: وهو نقد أعمال الحكام بالأسلوب اللاذع، والصراع الفكري:

وهو نقد الأفكار بالأسلوب اللاذع.

هــذا ما بقي من الإسلام في داخل الحزب. ولو طبّقنا قواعد السلف الصالح في الحكم على من آمن بهذا الإسلام على هذه الصورة فإنّه سيكون كافراً بالله ولا شكّ.

والحــزب بهذه الصورة هو من غلاة المرجئة (عقيدة عقلية دون عمل وصفات)، وعلى هذه القواعد الــتي طرحها الحزب فإنّه يقبل في داخله من لا يعمل بالإسلام ولا يتّصف بالإسلام. فماذا بقي فيه ليُسمّى مسلماً.

بقــي أن يؤمن بمبدأ الإسلام اقرأ هذه العبارات: فهو يتولى السلطة – أي الحزب – حين يُتاح له أن يــتولاّها ليــرعى شؤون الناس فعلاً، ويحاسب السلطة في جميع الأحيان، سواء أكان في الحكم أو خارج الحكــم، فعملــه كلّه محصور في السياسة، إما عملياً بمباشرتها، وإمّا نظرياً بمحاسبة الحكّام على أساس الإسلام.

إن الحــزب قد جرت محاولاتٌ ثلاث لفتنته عن حقيقته بجرّه عن السياسة إلى الدين والفقه فالحزب عمله كلّه في السياسة، وأما العمل بالدين والفقه هو فتنة للحزب عن حقيقته.

ونحــن لا نــدري ما هو تعريف الدين عند حزب التحرير. كذلك لا ندري ما هو تعريف الفقه عند حزب التحرير؟ لكن لو طبّقنا تعريف كلمتي دين وفقه عند أهل الإسلام قاطبة، فسيكون الحزب ليس حزباً ديــنيّاً، ونحن نعلم وصغار المسلمين يعلمون أنّ الإسلام دين، ولا يوجد شيء في إسلامنا لا يسمّى ديناً. فسيكون الحزب عندئذ على هذا التعريف (ولا يوجد غيره عند أهل الإسلام) ليس حزباً إسلاميّاً إلاّ بمقدار أن يكون الحزب الديمقراطي المسيحي مسيحياً، والحزب العربي الديمقراطي الإسلامي إسلامياً.

(لذلــك كان من ألزم الواجبات أن تكون صورة كل حزبيٍّ لدى الأمّة هي صورة الحزب، أن تكون شخصــيّة كلّ حزبي عند الناس شخصيةً سياسية نضالية، تحاول أخذ قيادة الناس لخوض غمرات الكفاح) اهــ.

إذاً صــورة الحــزبي صورة مكافح سياسي، صورة مناضلٍ سياسي. ونذكّر: لا يعمل بالإسلام، ولا يتّصف بالإسلام.

وحـــتّى تتّضح الصورة أكثر.فلو سأل سائل: هل يجوز للكتلة السياسية (حزب التحرير)، أو لأفرادها أن يكافحوا كفاحاً عسكريّاً (الجهاد)، أو يناضلوا بالإسلام نضالاً مسلّحاً؟.

ومع أن جواب هذا السؤال سيُتعرّض له بتوسّع في "منهج الحزب في التغيير" إلاّ أن طرقه هنا يخدم إعطاء صورة تامَّة عن الحزب يقول الحزب في كتاب "مفاهيم حزب التحرير" وهو مُتبنّى: ولهذا كان لا شـــأن للكتلة الإسلامية التي تحمل الدعوة بالنواحي العقليّة ولا تشتغل بشيءٍ إلا الدعوة، وتعتبر القيام بأي عملٍ من الأعمال الأخرى مُلهياً ومخدّراً ومعيقاً عن الدعوة ولا يجوز الاشتغال بها مطلقاً.

ويقول في المفاهيم أيضاً ما نصّه: (ولهذا لا يجوز للكتلة وهي تحمل الدعوة أن تقوم ككتلة بأيّ عملٍ من الأخرى ويجب أن تقتصر على الفِكر والدعوة).اهـــ.

وفـــي نشـــرةٍ بتاريخ ١٩٦٨/١٠/٢٧م تحت عنوان: (سأل "أحد الشّباب الحزب"، يقول المنشور في شرح هذه العبارات: فالحزب قد تبنّى من أوّل يوم وُجد فيه أن لا يقوم بالأعمال المادّية، وحمل السّلاح من قبل الحزب كحزب للقيام بأعمال بواسطة السلاح هو قيامٌ بأعمال غير فكريّة، قيام بأعمال مادّية، وهو لا يجـــوز للحزب أن يفعله مهما كانت الغاية التييحمل السلاح من أجلها، سواء أكانت لإزالة المنكر أو لتسلّم الحكم أو لغير ذلك، ولا يصحّ أن يقوم إلاّ بالأعمال الفكريّة والأعمال السياسية فلا يصحّ أن يقوم بالأعمال المادّيـــة مطـــلقاً لا بـــالأمس ولا بـــاليوم ولا فـــي المســـتقبل فهـــو مقيَّـــد بمـــا تبـــنّى). ويقول في نفس النشرة:(أن يُطلب من الحزب أن يشارك في الأعمال المسلّحة لأخذ الحكم طلبٌ مرفوض لأنّ الحـــزب كحـــزب لا يشارك في حمل السلاح لأخذ الحكم، لأنّه كحزب لا يقوم بالأعمال المادية، إن الحزب لا يطلب من غيره الآن أن يقوم بالأعمال المادية والأعمال المسلحة لأخذ الحكم، وإنّما يطلب ممّن لهـــم المـــنعة أن ينصُروه، أي أن يستعملوا قوّتهم ونفوذهم لنصرته سواءَ أكان ذلك بالأعمال المسلّحة أم بغيرها).

فالحزب لا يقوم بالعمل المسلّح بل بالكفاح السياسي، والنضال السياسي فقط، وإنّما يطلب من غيره أن يقوم بالعمل المسلَّح أو أي أعمال أخرى ليعطي الحزب الحكم.

يقـــول فـــي نفـــس النّشرة:(إن طلب الحزب للنصرة ليس طلب فرد من غيره أن يقوم بأعمال مادّية لمســـاعدته، وهو لا يقوم بها، فليس طلب فردٍ من غيره أن يقاتلوا ليحموه وهو يتأخّر عن القتال وإنّما هو طلبٌ من كتلة من أهل المنعة والقوة أن ينصروها (أي الكتلة) وأن يُزيلوا الحواجز المادّية من طريقها (أي الكتلة) حتى تتسلّم الحكم) اهـــ.

وهـــو بهـــذا (كمـــا نصّ في مواطن أخرى) لا يمنع الأعمال المادية ومنها الجهاد الفردي، بل يقول بجوازه، ولكن هو يحرّمه على أتباعه، ويمنع تلك الكتلة السياسية (أي حزب التحرير) من ممارستها، بل هـــو ربّمـــا يحرّض على الأعمال المادّية، لكنّه يرفض أن يمارسها أما أدلّته على ذلك فلها موطن آخر. على الرغم من أن الحزب كما تقدّم يرفض أن يكون مفتياً إلا أنّه مارس الفتوى على جميع الصُّعُد، وكانت

هــذه الفــتاوى الصادرة منه تصبغ ما تقدّم من الإطار العام للحزب شخصية خاصة، لا تتعامل مع الحكم الشــرعي والــبعد الديــني لــلوقائع والأحكــام بمقــدار مــا تتعامل مع التحليل السياسي لهذا الحدث. والتحليل السياسي مهما تعمّق فيه صاحبه فإنّه لا يكفي لإصدار حكم شرعيٍّ واضح في المسألة، وقد أقام الشــارع أحكامــاً شــرعية عــلى عــللٍ كونيّــة واضــحةٍ يلــتقي حولهــا أغــلب العقــلاء. وهذا ليس تهويناً للتحليل السياسي للأحداث، بل هو إعادة له إلى مقامه الصحيح حتى لا يطغى على العلل الشّرعية الواضحة التي تقوم من أجلها الأحكام.

وقبل أن نستفيض في ذكر الأمثلة لهذا الأمر فلا مانع أن نمرّ بإيجاز على محترزات التحليل السياسي للأحداث وما هي مداخل الخطأ فيه.

التحليل السياسي على الجملة ينشأ على ركيزتين اثنتين هما.

معرفة المرء للحدث من جميع جوانبه كما هو من غير تخيل ولا ظنّ.

عقيــدة المحلّل السياسي، وعلى ضوء هاتين الركيزتين ينشأ عادة خطأ التحليل السياسي. فالمحلّل في أغلب الأحيان إن لم يكن قريباً من مصادر الحدث، مطّلعاً على خفاياه وخاصة في عصر النّفاق السياسي، والكيــد الذّكــي فــي إدارة الأحداث والأقوال السياسية، فإنّه سيكون أسير الخبر المعلن، والقول الظاهر فحيــنــئذٍ تكــون أحكامه قاصرة. وصورة الخطأ الآخر أن المحلّل السياسي (إن لم يكن موضوعيّاً وهو الأغلب) سيحاول دعم عقيدته السياسية بهذا الحدث، حين يأخذ برقبة هذا الحدث ليدخله رغم أنفه إلى جملة الأدلة التي يُعتد بها لخدمة عقيدته. فالشيوعي مثلاً لن يتصوّر حدثاً ما في الدنيا إلا وسيستخدمه في كشف عمــلاء الإمــبريالية، وخطط البعبع الرأسمالي في السيطرة على الحياة والوجود، واليمين الرأسمالي كلّما قُعقع له في الشنان لن يرى إلا مطرقة الشيوعية أو منجلها في هذا الحدث. وهذا رأيناه بوضوح في كافة الصُّــعد فــي بلادنا العربيّة (وأستغفر الله لهذا التعبير) فإنّ عامّة النّاس كانوا يُساقون إلى تفسير الأحداث عــلى ضــوء نظرتهم لليهود والصهيونيّة (وأستغفر الله مرة أخرى)، حتى لو كُسفَت الشّمس، فإنّ وراء كســوفها اليهــود، وحــزب التحرير على الجملة في كلِّ تفسيراته لكل الأحداث السياسيّة في بلادنا كان يرجعها إلى الصراع الأمريكي – الإنجليزي، حتى أنّ روسيا دخلت أفغانستان يجرها حبل ريغان، الرئيس الأمريكي يومذاك.

وبين يديّ الآن مجموعة من النشرات القديمة والحديثة للحزب تبيّن ما قدّمنا أسوق لكم بعضها كمِثال، مع أن الجراب مليء بمثل هذه الأمثلة.

في نشرة بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٦م وهي نشرة طويلة يقول: (في الصراع القائم بين أمريكا وإنجلترا في الشّــرق الأوسط يشترك عملاء كلتا الدولتين في هذا الصراع ويتّخذون الأداة لتنفيذ الخطط، ويعتبر عبد الناصــر وحزب البعث وبن بلّة من أبرز عملاء أمريكا الذين لهم أدوار في هذا الصّراع، ويعتبر حزب الشــعب (حــزب سوري منحل) والحزب الوطني في سوريا، وسياسيّو لبنان إجمالاً حكّاماً وغير حكام،

والمـــلك حســـين مـــن أبـــرز عمـــلاء إنجلـــترا الذيـــن لهـــم أدوار فـــي هـــذا الصـــراع). وفي البيان يقرر أنّه لا خصومة بين أمريكا وروسيا في الشّرق الأوسط فقد وُزّعت الأدوار بينهم، يقول: (إنّه ممّا لا شكّ فيه أنّ من الاتفافيات التي جرت بين خروتشوف وكينيدي في حزيران ١٩٦١ في النّمسا إطـــلاق يـــد أمـــريكا في الشرق الأوسط والشرق الأقصى وأفريقيا واستعداد روسيا لمساندة أميركا ضدّ إنجلترا في أيّ عملٍ يحتاج إلى مساعدة) اهـــ.

وحسب هذا التحليل لا أدري ماذا بقي لروسيا من قطعة الجبن هذه.

يقول في نشرة بتاريخ ١٩٦٨/٨/٣١: (المحرّك لمشكلة تشيكوسلوفاكيا هو الإنجليز، فقد حرّكوها من أجل إشغال روسيا حتى يتمكّنوا من العمل في الشرق الأوسط). اهـــ.

في نشرةٍ بتاريخ ١٩٦٩/٢/٨ يقول الحزب:(قبل٥ حزيران١٩٦٧ كان مفهوماً لدينا أنّ إسرائيل تعمل لمصـــلحتها، وأنّ سياستها ذاتيّة، وأنّها ترسم سياستها حسب مصلحتها، ولكن بعد ٥ حزيران تبيّن لنا من معـــلومات كـــثيرة أنّ إســـرائيل تسير مع الإنجليز، وأنّ حكّامها عملاءٌ مثل الحسين (ملك الأردن) سواء بسواء، وأن أكثريّتهم عملاء للإنجليز، وقد ظهر ذلك جليّاً في احتلالهم لسيناء، وليست لهم أية مصلحة في ذلـــك، ثـــمّ فـــي بقائهم يسيرون بتوجيهات الإنجليز حتى صار واضحاً مثل الشّمس لكلّ العالم أنّ أعمال إســـرائيل أعمـــال إنجليز، وعليه فإنّه ظهر بعد٥ حزيران أن حكام إسرائيل لا يتحركون حركة إلا بأمر الإنجليز).

فـــي نشرة بتاريخ ١٩٦٩/٤/٢٣ يقول الحزب:(إنّ الجهاد مع الفدائيين ليس بواجب لسببين. أحدهما: أنّهـــا منظّمات خائنة وُجدت حسب مخطّط إنجليزي، ومن أجل تنفيذه، ومن أنشأوها وكثيرٌ من السائرين فيهـــا من قادتها وغيرهم يعلمون ذلك، ولهذا لا يجب الجهاد معها، بل في هذه الحالة إذا علم المسلم بهذه الخيانة وصدّق به لا يجوز له أن يجاهد معهم لأنّه يقوم بتنفيذ مخطط إنجليزي، وفي منظمة أمست حسب خطط الإنجليز وهو يعلم ذلك.أما السبب الثاني:

فهـــي أن جماعة الفدائيين ليس لهم أمير حتى يجب الجهاد معهم، وأميرهم لا يعتبر أميراً عامّاً، لأنّ الأمير من ينصّب لرعاية الناس فهو الذي له صلاحية إدارة الجماعة، ولا ينطبق هذا على الفدائيين وعلى أميـــرهم، لذلك كان الجهاد مع الفدائيين غير واجب لأنه ليس هناك (أمير يجاهد تحت رايته الجهاد واجب عـــليكم مع كل أمير) ولكن هل يجوز الجهاد مع الفدائيين فرديّاً لمن لا يعلم أنّها منظماتٌ خائنة؟ فالجواب عـــلى ذلك هو أنه يجوز الجهاد مع الفدائيين لمن لا يعلم خيانتهم، لأن الجهاد الفردي جائز في حالة عدم توفّـــر شروط وجوب الجهاد، وأما الانخراط في الجيش مع الحكومة فإن الحكومة تعتبر جماعة لها أمير، ولذلك إذا وجب الجهاد فإن الجهاد يكون واجباً في هذه الحالة لأن شرط الأمير قد تحقق). اهـــ.

وأرجـــو العفو لأنّني سُقت هذه الفقرة مع طولها، إلا أنّها تعتبر نموذجاً لما قدّمنا من محترزاتٍ على الحزب.

فهذه الفقرات وخاصة الأخيرة علّقت الحكم على تحليلٍ سياسي لها، وهذا قد تختلف فيه الأنظار (أي التحـــليل السياســـي)، ولذلـــك لن يكون ملزماً إلا لصاحبه، وتركت المناط الحقيقي لحرمة القتال مع هذه الطوائف المذكورة، المنظمات الفدائية.

فالمناط الحقيقي لحرمة القتال مع هذه الطوائف أنّها طوائف كفرٌ وردّة لأنّها التقت على عقيدة كفريّة وهـــي العـــلمانية فـــي بعضها، والشيوعية والبعثية في أخرى، وهو مناطٌ ظاهرٌ بيّن، وهو مناط حقيقي وشرعي، ولما أخطأ الحزب، وهو كثيراً ما يُخطئ في التحليل السياسي فإن أحكامه ستكون غير مضبوطة شـــرعاً، وســـتكون ألعوبة بين كلّ من هبّ ودبّ في الخلاف معهم، ولذلك لم يذكر الحزب شيئاً عن حكم الراية التي يجوز للمسلم أن يقاتل تحتها.

وهذا دفعه أن يقول في نهاية الفتوى: (وأمّا الانخراط في الجيش ومع الحكومةفإن الجهاد يكون واجبا في هذه الحالة).

ومعـــلوم أنّـــه يتكلم عن الجيش الأردني والحكـــومة الأردنية، وهذا تخبط واضحٌ في فهمه للشريعة وللأحكـــام فيهـــا، ولكن دفعه لذلك هوســـه في أهميّة التحليل السياسي، بل جعل عقيدة الإسلام هي عقيدة سياســـية فـــي جوهـــرها كمـــا تقـــدَّم ســـابقاً فعـــلّق كـــل شـــيء عـــليها، أي عـــلى السياســـة فيها. وبدل أن يكون الصراع بيننا وبين الآخرين على أساس عقيدة التوحيد، وعلى أساس قاعدة العبودية لله أو لغيره، فإن قتالنا سيكون على أساس العلاقة السياسية وغيرها، وهذا واضح في تحليل الحزب لعمالة القادة الإسرائيليين (اليهود) في فلسطين.

فهل قتالنا لهم لأنهم عملاء للإنجليز أم لكونهم أعداء لله؟.

مـــع أننا نقرر أن العداء لله ولرسوله لا بد أن يفرز عمالة لطواغيت الأرض الكفرة، ولكن لا بد من تعليق الحكم الشرعي على مناطٍ صحيح لا تختلف فيه الأنظار.

وهـــذا يدفعـــنا إلى القول أن فهم الإيمان والتوحيد عند الحزب ليس هو الفهم السني، بل هو أقرب ما يكون إلى إفرازات الأشاعرة (المرجئة) حين يجعل التوحيد عقيدة عقلية، ويجعل جهاد الكتلة المؤمنة كفاحاً سياسياً لكنها كما يبدو عقيدة عقلية متطوّرة.

وللحزب بعض الفتاوى التي تحتاج إلى بحث ونظر وعسى أن نفرغ لها قريباً. والله الموفق.

مــن نافلة القول أن نذكّر الإخوة أن الشيخ الألباني هو هو، حيث بارك الله تعالى بجهوده في خدمة السنّة المظفّــرة، فانتشــر بيــن طلــبة العلم منهج النّقد في علم الحديث، وتوقّف المسلم عن الجرأة على سوق الأحــاديث عــلى هناتها دون تمحيص أو مراجعة، ثمّ حصل من الخير ما يلاحظ من تسهيل نوال السنة النــبوية بين يدي المسلمين عامّة وخاصة، حيث قُرِّبت السنة ومصادرها، فصار التّعامل مع كتب الحديث النــبوي مباشرة، فذهبت تلك العصور التي كان يُنظر فيها إلى كتب الحديث أنها كتب السّر، أو ما يسمّى بكتب البركة، لا تخرج من مكانها إلا من أجل قراءة طلب الأجر، لا من أجل العلم والعمل والإتّباع، كل هــذه الثّمرات وغيرها مثل محاربة التقليد والتّعصّب المذهبيّ، كان للشيخ ناصر الألباني اليد الطولى في نشره وبثّه، وهذا يستدعي منّا أن ندعو له في خلواتنا، وأن نشكر له فضله بألسنتنا وقلوبنا. فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء. ولا يشكر الله من لم يشكر الناس.

والشيخ ناصر الألباني من خيار الناس في هذا الزمان. ولمّا كان الشيخ ناصر من العلماء، ومن أهل السنّة، بل من مقدّميهم، وكان ممّن ينظر إليه ليُقتدى به، كان من الواجب على من عرف مزالق الشيخ، أو وقــع له على أخطاء يخاف منها أن تصبح ديناً يُتّبع، أو منهجاً يُسلك أن ينبّه عليها، أو يَكشف عنها أداء لأمانــة التّبــليغ، وقيامــاً بحــقّ هذا الدين على كل مسلم، وليس هذا من كشف العورات، ولا من فضح المخبوء، لا والله، بل هو من واجب البيان الذي أمر الله تعالى به، وهو دلالة صحة في هذه الأمة، وعندما يــأتي الوقــت (ونحن نعيش فيه) الذي يصبح فيه الأشخاص أوثاناً، فيَحرُم الاقتراب منه، وعندما يقدَّس الرجال على حساب الفكرة، فحينئذٍ تكون هذه علامة شرٍّ في هذه الأمة، ودلالة سوء تنذر بضياع دين الله تعــالى، ولــلذّكر فالعبد لله كاتب هذه السّطور لا يُحزنه ولا يُغضبه أن يغضب أهل التّقليد، أو أن تحمرَّ أنوفُ من يعبد الذوات البشرية والرموز، لا والله بل يُفرحه أشدّ الفرح، ويرجو من الله أن لا يضيع أجره ولا يخيــب ظــنه، ولعلّ لي العذر أن أقدّم هذه المقدّمة وأنا أكتب عن الشيخ ناصر فهو رجلٌ من النّاس يخــطئ ويصيب، وربّنا وحده هو القدوس، لكني أعلم أن قوماً أبغضوا الشيخ، وغالوا في البغض، حتّى هلكوا، وقوماً أحبّوه وغالوا في حبّه حتى هلكوا، وأنا بشرٌ أرقب زفرات الغضب من مبغضيه حين أمدح، وأرقــب نظــرات الغضب من محبّيه حين أكشف شيئاً، لكن على الله توكّلنا فهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والشيخ حبيبٌ إلينا، والحقّ أحبُّ إلينا منه.

مــن المهــمّ أن ننبّه على أمرٍ ملاحظٍ في مسيرةِ الشّيخ وفي حركة حياته، وهو أنّ الشيخ كان دوماً يُســتغل من قِبل الآخرين في إثارة المپ، وكان من المنفصلين والمؤيّدين للأستاذ عصام زهير الشّاويش، وهو رجل مهتمٌّ بنشر الكتب وطباعتها، وكان الشيخ ناصر الألباني يشتغل في المكتب الإسلامي لصاحبه

زهيـــر الشاويش، وبذكاء يُعترف به استطاع زهير الشاويش إدارة الشيخ ناصر الألباني في هذه المعركة تحـــت ســـتار محاربـــة المذهبية والصوفية والأشاعرة، نعم عبد الفتاح أبو غدّة هو كذلك مذهبيّ صوفيّ ماتُريدي، لكن لماذا هذا الاهتمام كله من قبل الشيخ ناصر بأبي غدّة، وهناك من هو أكثر عداءً للسلفية في بـــلاد الشّـــــام، حتى وصل الأمر أن يفتتح طالب العلم كتب العقيدة الصحيحة بهذه الخصومة بين الشيخ ناصـــر وبيـــن أبـــي غدّة، بل خصّ الشّيخ ناصر أبا غدّة بكتابٍ مستقل في التعليق عليه، وكشف أخطائه وهفواته، بل ومراقبة خُطَب أبي غدة وملاحقته في كشف حقيقته عندما ذهب للجامعات السعودية للتدريس فيهـــا، وهو أمرٌ لا يستطيع أن يفسّره المرء المطلع إلا استغلالاً من قبل زهير الشاويش للشيخ ناصر في خصـــومةٍ لم يكن الأصل فيها خلافاً بين سلفية ومذهبيّة أبداً. وبقي الشيخ ناصر مُستغلاّ من قبل صاحب المكتب الإسلامي في إدارته كمحاربٍ ضدّ الخصوم.

رَحـــل الشـــيخ ناصـــر إلى الأردن وبدأت السلفيّة كشعار تحمل اتّجاهاتٍ متعدِّدة، فهناك سلفيةٌ ترى خوض العمل السياسي، وترى وجوب التنظيم، وترى خوض غمرات الحياة، وهي كذلك خطوط متعددة، فبعضـــها يـــرى العمل من خلال البرلمانات الشركيّة، وبعضها يحرّم ذلك، وبعضها يرى التّنظيم العلمي، وغيـــره يـــرى التنظيم العسكريّ، وهناك سلفيّة اصطلح بعضهم عليها إطلاق لفظ العلميّة، فهم يحرّمون العمـــل السّياسي. والأدلة على ذلك متضاربة بينهم، فهناك منهم من يرى حكّام هذا الزّمان أنّهم مسلمون والخـــروج عـــليهم بغيٌ وعُدوان، وهناك من يرى عدم جدوى الحديث في هذه الأمور، وهذا التيّار يرى حـــرمة التنظيم وأنّه بدعة جديدة، وهناك وهناك ممّا يصعب حصره وذكره، وكلّ هذه الاتجاهات خرجت من عباءة السلفية، بل إنّ هناك من التّيارات السلفية ما ترى أنّ فِقه الواقع هو عين الجهل بدين الله تعالى، وهناك من يرى وجوب فقه الواقع. وكلّ له دليله، وبعضهم له دليلٌ وحيد فقط، هو أنّه سلفيّ.

هـــذه الـــتيّارات المتضـــاربة تحت شعار السّلفية، حاولت كلّ جهة أن تضمّ الشيخ بثقله إلى جانبها، وتســـتخدمه فـــي حروب طاحنة ضد خصومهم، وللذّكر فإنّ الخصومة بين هذه التيّارات شديدة، ووصل الأمر بها إلى الاتّهام بالعمالة، والاتّهام بالغلوّ والخروج. قلنا حاول كل تيّار أن يجذب الشّيخ إليه، والشيخ دوماً كان يعترف أنّه لا يفقه في العمل الحركي، وهذا أمر سنبسُطه قريباً – إن شاء الله – واستطاع تيّار معيّن، بما يملك من ثقلٍ مالي ودعائي وحكومي، وقُرب من الشيخ كذلك، أن يدفع الشيخ إلى داخله فيجيّره إلى حسابه.

هذا التيار هو تيّار السلفيّة المزعومة بقيادة هذا التيار في الأردن والحجاز.

كان الشيخ دوماً ينبّه على أخطاء بعض تلامذته، وأعلن مراراً أنّه استطاع أن يعلِّم لكنه لم يستطع أن يربِّي، ولكن للأسف كان وصار الشيخ أسيراً لهؤلاء التلاميذ الذين اعترف أنّه لم يستطع تربيتهم.

والأمانـــة العـــلميّة تقتضي منّا أن نكشف ستر هذا التيّار الذي شكى منه كل منصف، وتأذّى منه كلُّ عاملٍ لدين الله، ولم يَسلم من لسانه أحد حتى الذين رفعوا شعار السلف والسَّلفيّة، بل إن الكثير من الأحكام

الحركية، والخصومات المعلنة بين الشيخ وخصـــومه في الأشرطة والأحاديث بل ومقدّمات بعض الكتب هي من صنع هذا التيّار.

قلـــنا إنّ الشـــيخ ناصر – للأسف – يُستغل بما يملك من ثقلٍ علميّ من قبل بعضهم في صدِّ خصوم هـــؤلاء البعض، وفي إثارة المعارك التي لا تخدم قضيّة الإســـلام بمقدار ما تخدم أهواء ورغبات هؤلاء الـــبعض، والمتابع لما يخرج من الشيخ ناصر من أحكام تتعلّق بالأشخاص والحركات الإسلامية يرى أنّها تصـــنع أولاً ثـــمّ تُسيَّر بطريقةٍ لا تخدم قضيّةً علميَّة، ولا تكشف حقيقة غائبة، بل هي أقرب إلى انتصار الخصوم على غير فكرة، ومنازعة المتشاكسين على غير دليل، وقبل أن أكشف عن هؤلاء البعض وعن أفكارهم وأقوالهم.

قـــد يســـأل سائل: ما فائدة هذا الأمر بالنسبة للمجاهد فيما يخصّ الشيخ ناصر؟ وهل هناك من فائدة ترجى من وراء ذلك؟.

فـــأقول وبالله التوفيق: نعم لها عظيم فائدة، لأنّها تبيّن آلية صدور الكثير من الأمور من الشيخ ناصر وتكشف حقيقة الواقع الذي يصبغ عقليّة الشيخ كذلك، ومن خلالها يندفع منه ما نسمع ونرى، وإذا انكشف لـــنا هـــذا علمـــنا أنّ ما يقوله الشيخ ناصر فيما يخص العمل الحركي والتنظيمات الإسلامية وما يخص الشخصـــيات الإسلامية إنّما هو رأي، والرأي لا يُلزم لأنّه ليس بدليلٍ معصوم بل هو خاضع للنّظر قبولاً وردّاً، وإذا كـــان عمـــل الشيخ هو خدمة السنّة النبوية فليس يعني هذا أن كل ما يخرج منه هو سنّة نبوية معصـــومة، ثمّ إذا علمنا هذا زال عنّا العجب عن وضـــع الشيخ ناصر فيما يخصّ هذا الباب واضطرابه فيـــه، وإن الشيخ ناصر – علم أم لم يعلم – هو أسيرُ مَن حوله، منهم من يوجّهه حيناً لتجريحِ السروريَّة (كمـــا يـــزعمون) فهذا شريطٌ في نقاشٍ مع سُروريّ، وحيناً لتجريح دعاة فهم الواقع، فهذا شريط ضدّهم، وحيـــناً شريط له عنوانٌ فاقع، مثل "الردّ على مدّعي الجهاد"، في نقاش لكتاب العمدة في إعداد العدة لعبد القـــادر بـــن عـــبد العزيز، وحيناً في إسقاط علمية وأخلاقيّة عبد الرحيم الطحّان، وحيناً في إخراج عبد الرحمن عبد الخالق من دائرة السلفية، وحيناً وحيناً، وهي مناقشات لم نر فيها من العلمِ شيئاً، بل نرى فيها ســـماتٍ غريـــبة عـــن واقع العلم وأهله، مع ما فيها من جهل بحقيقة المُتَكلَّم عليهم، فهي أمور جدُّ هزيلة ومضـــحكة، وللأســـف أنّها تتكلّم عن الجوانب الحسنة في هذه الشخصيات، وتتبزها بالسوء، فالسرورية جـــريمة لأنّهـــا تنظيم أو حزب، ولأنّها من دعاة فهم الواقع، وعبد الرحمن عبد الخالق متَّهم بنفس التّهَم، ولأنّـــه يؤمـــن بالعمل السياسي (الاتّهام كمبدأ وليس حول شرعيّة الأساليب)، عبد الرحيم الطحّان ماكر، ويتلـــبّس بالسّـــلفيّة وليس هو كذلك، ولم نسمع منهم عنه شيئاً إلاّ عندما قال كلمة حقٍّ في الطواغيت، أمّا كـــتاب العمـــدة فواضح لكلّ ذي عينين أن الشيخ لا يعرف عن الكتاب إلاّ اسمه، وأن هؤلاء الصِّبية (من حول الشيخ) أضحكوا على الشيخ القاصي والدّاني، فكان الشيخ يردّ بكتاب العمدة على كذب هؤلاء الصبية عـــلى كـــتاب العمـــدة، وهكذا يُكشف لنا مِن هذا وغيره أن الشيخ مُستخدم لضرب جوانب الصّواب في

الحـــركات والشخصـــيات الإسلامية، وحين نقول أنّ آلية حدوث هذه الأفعال هو بما ذكرنا فهذا لا يعفي الشيخ من المسئولية، وعِلم الحديث أوّل ما يُعلّم وجوب التبيّن.

ونحـــن ســـنناقش الشيخ فيما سيأتي في منهجه للتغيير بما طرحه من شعار التصفية والتّربية ونبيّن حقيقـــة هـــذا الشـــعار السّلفي المزعوم الملتفّ حول الشيخ ناصر الدين الألباني: قلنا إنّ التيّارات السلفية المتعددة، الصادق منها والمدّعي بلا برهان، حاولت أن تكسب الشيخ إلى صفّها، وهذا من قديم، فقد دُعي الشيخ كثيراً إلى تشكيل تنظيم سلفيّ، وقد بذلت الجهود إلى أخذ المباركة منه لبعض الأعمال من السلفيين، ولكـــن هـــناك تيّارٌ استطاع دفع الشيخ إلى داخله، والاستفادة من اسمه وتأطيره إليه، وهذا التيّار له أفكارٌ وميّـــــزات، وبعيـــداً عن البحث في آلية حدوث هذه الأفكار السلفية الغريبة. سواء من الجوانب النفسية كالجُبن وغيره. أو جوانب الانتماء الحكومي فإنّنا سنبرزُها بصورة مجرّدة كما هي، وهذه الأفكار هي:

(1)إسباغ الشرعية على الواقع: حكوماتٍ ومجتمعات، فالحكومات في ذهنية هذا التيّار هي حكوماتٌ إســـلامية، لم تفقد من أركان الإسلام شيئاً، نعم صحيح هي حكومات متغلِّبة وظالمة، ولكنَّها حكوماتٌ لها الـــبيعة في عنق تابعيها، والخروج عليهـــا بغيٌ وعدوان، فآل سعود هم حكّامٌ مسلمون، ومن تكلّم عليهم بســـوءٍ فقد وضع رجله في سبيل أهل البدع، ومناقشتهم فيما يفعلون هو تطاول على وليِّ الأمر، ومثل آل ســـعود كذلـــك الملك حسين فهو مسلم إلى مشاشه، بل هو من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم الذين تجـــب محبّتهم، ويُعلن شيخ هذا التيّار في الأردن محمد بن إبراهيم شقرة في كثير من مجالسه: أنّه يُحِب الملك حسين في الله، وكذلك حكّام الخليج، بل الأغرَب من ذلك أن ذيل هذا التيّار في الجزائر كان يعلن أن الخروج على الشاذلي بن جديد هو بغي على وليّ الأمر المسلم.

وأمّـــا المجتمعات فهي مسلمة في كلّ شيءٍ إلا في عدم لبس الثّوب العربي إلى منتصف السّاق، وفي حمل السّبحة حين الذكر، وفي تزيين المصاحف والمساجد، وأمثالها.

(2)تحـــريم العمـــل التـــنظيميّ ووسمه بالبدعة الجديدة، وصرف الجهود من أعمال تأليفيّة وخطب ونـــدوات في صرف الناس عن العمل الجماعي، وكأنّه جريمة المسلم المتديّن في هذا العصر، ولذلك هم يصـــبّون جـــام غضـــبهم ويشـــتدّ احمـــرار أنـــوفهم عندما يسمعون أن تجمّعاً قام، أو أنّ تنظيماً حدث، فيســـارعون – ولا ندري بمبـــاركة من؟ – إلى فضحه على رؤوس الأشـــهاد والتنفير منه، وللأسف أن الكـــثير من التنظيمات الإسلامية السرّيّة قد كُشفت على يد هؤلاء القوم، لأنّهم يعتبرون أنّه من القربة إلى الله كشف هؤلاء المبتـــدعين (كما يظنّون).

وبـــدل أن تنـــتشـــر في المسلمين الروح الجماعية، والعمل التنظيـــمي تعمّقت لديهم الفردية المقيتة، وصار الانتماء إلى تنظيم أو إلى حركة في نفس المسلم رذيلة ومنقصة يحاول أن يتبرّأ منها، بل ويتبجّح للتدليل على نزاهته في الحكم، واستقلاله في الرؤية: أنّه ليس في تنظيم، بل ولا (منتمي).

(3)إسقاط حكم الجهاد القتالي في هذا العصر والإعلان أنّ كلّ من حمل السلاح مجاهداً في سبيل الله هــو من أصحاب الفكر المبتدع، فهو إمّا خارجي أو باغٍ، وهذا الإسقاط له أدلّة متنوّعة داخل هذا التيّار، فمرّة تحت دليل أنّ الجهاد لا يجوز إلا تحت إمام عامّة، فإذا سُئلوا: هل نجاهد لتنصيب إمام عامّة؟، قالوا: هــذه بدعة، وهو دَوْر منطقيٌّ فاسد، لا حل له في عقولهم، ومرة تحت دعوى: أنّ الجهاد يجرّ المصائب عــلى المسلمين، فطريق السّلامة أولى وأسلم، ومرّة تحت دعوى أن أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطان جائــر، فــلماذا تتركون أفضل الجهاد إلى أدناه وهو حمل السلاح، ومرّة ومرّة... أدلّة لو عُرضت على النهج السلفيّ الحق لاستقاء منها تقزُّزاً.

(4)رفــع شــعار (إنّ من فقه الواقع أن تدع فقه الواقع لتكون من أفقه الناس بفقه الواقع) ولذلك هم يشــنّون الغارة تلو الغارة على من حــاول فهم واقعة من خلال متابعته للأحداث الحياتية والســياسية، أو إذا اعتمدها المتحــدث في بناء أحكامه وتصوراته عن واقعه وحياته، وهم يحتجّــون في تنفيرهم من هذه المنقــبة العظيمة أنّها تُلهي عن طلب العلم الصحيح، وعلى صيغة سؤال يُقال لك: ما الأولى والأفضــل لطالب العلم، أن يقرأ كتاب فقهٍ ويحفظ حديثاً نبويّاً أو يضيّع وقته في سماع الأخبار وقراءة الجريدة؟. وهو سؤال يجد له صدىً في نفسيّة المسلم المتخلِّفة، بل وعقليته المنحطّة.

هــذه أبــرز سمات هذا التيّار وهي سمات وخصائص لا يسمح هذا التيار لنفسه أن يتخلّى عن شيءٍ مــنها. العــالم كالحاكم، إن كانت له بطانة صالحة كان حكمه صالحاً، وإن كانت فاسدة فستكون أحكامه فاسدة، وإذا كانت البطانة جبــانة كانت أحكامه تخدم الجبن والخوف، وهكذا.

ولعــل شريط الشيخ ناصر بعنوان: "ردُّ شبهات مدّعي الجهاد" هو خير دليلٍ على أنّ بطانة الشيخ لا تُحمــد، وأنّهــا تدفع الشيخ إلى غير طريق الصّلاح والهُدى، وعلى الجملة فيما نعلم – وما شهدنا إلاّ بما علمــنا – أنّ القــائمين على هذه الأشرطة لا يخدمون علم الشّيخ بمقدار ما يستخدمون الشيخ للطّعن في خصــومهم، وبعضــهم يظنُّ أنّه بمجرَّد قُربه من الشيخ، أو إحسانه لطعام الشّيخ، أو سياقته لسيّارة الشيخ صــار أثرياً وجهبذاً، وعلى الحقيقة أنّ بعضهم بحاجة إلى تحسين قراءة سورة الفاتحة قبل أن يخوض في كبار المسائل وعظائم الأمور.

الشــريط المذكــور: "ردّ شبهات مدعي الجهاد" قام فيه بعضهم بتوجيه أسئلةٍ للشيخ ناصر، وهؤلاء البعض حتى تتّضح الصورة "ليبيّون". وكانت أسئلتهم تدور حول إسقاط قيمة كتاب العمدة في إعداد العدة لعبد القادر بن عبد العزيز، والكتاب هو عمدة تيّار الجهاد في العالم الإسلامي، وهو في جملته بمثل منهج أهل السنة والجماعة في البحث والنظر وعرض المسائل الشرعية ودراسة واقع المسلمين وما يجب عليهم تجاهه.

يبدأ الشيخ ناصر الكتاب بقوله: أين هذه الطائفة التي تقاتل بالسَّيف والسّنان، إنّ ادّعاء وجودها مكابرة وجحــدٌ لــلواقع. فالشيخ ينفي وجود جماعات الجهاد المسلّح في العالم الإسلامي، ثم يبدأ السائل بتحريض

الشيخ للردّ على أدعياء الجهاد، فيقول له: وهم لهم شبهة (أي جماعات الجهاد) بأنّه يجوز الجهاد بلا إمام؟ ويردّ الشيخ بأنّ هناك جهاد بلا إمام، وجهادٌ لابدّ له من إمام.

ويعرض في رده القول: بأنّ جهاد الطلب يحتاج إلى إعداد عدّة وتأمير إمام حتى يكون جهاداً شرعياً. أمّا جهاد الدفع فيقول: أن هذا الجهاد لا يرد عليه موضوع الإمارة والاستعداد الواجب. ثم يتابع: أن الخروج على الحاكم الكافر كفراً صريحاً لا بدّ له من الإعداد والإمارة.

ثم يبدأ الشيخ في نقض أفكار جماعات الجهاد قائلاً: هل سبيل إقامة الدولة المسلمة بمثل هذه الوسائل التي ابتلي بها الكثير ممّن يدّعون العمل للإسلام، والجهاد في سبيل الله، هل هكذا فعل الرسول صلى الله عليه وسلم عندما بدأ بإقامة الدّولة المسلمة؟، كل مُسلمٍ يعرف أنّ مثل هذه التصرفات (أي تصرّفات جماعات الجهاد) لم تقع إلا في العهد المدني، أي بعد أن أوجد النبي صلى الله عليه وسلم فعلاً الطّائفة المنصورة، أوجدهم وعلّمهم ممّا علّمه الله، وربّاهم على عينه، وبدأ يجهّز هؤلاء لقتال الكفار. ثمّ يقول: ونحن نعلم أنّ أوّل معركة قامت بين المسلمين وبين الكافرين لم تقم ابتداءاً من الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، وإنّما دفاعاً عن بلد المسلمين الذي غُزي من قبل الكافرين كما هو معروف في السيرة في قصة غزوة بدرٍ المعروفة، ولذلك الجهاد يحتاج إلى مقدّمات ومقدّمات كثيرة جداً. ويقول: إنّ آية {وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل} هذا الخطاب الآن لا يوجد تحقيقه في أرض إسلامية.

ويقول: "ليس هناك طائفة على الكتاب والسنة، فأعمالهم كلّها على ضوء الكتاب والسنّة".

وهكذا يمضي الشريط في الطعن والردّ على قضايا لا يعرضها صاحب العمدة، ولكن الصِّبية من حول الشّيخ يعرضونها على أنها من العمدة، ويردّ عليها الشيخ. أي على غير ما في الكتاب، فهم يوهمون الشيخ أنّ صاحب العمدة يزعم أنّه قد أوّل حديث الطّائفة المنصورة في حمله على جماعة الجهاد المصرية، وهذا كذبٌ صريح.

وكلام الشيخ المتقدّم فيه من الأخطاء الواضحة لصغار الطَّلبة ومن أهمها:

١ – زعمه أن الخروج على الحاكم إذا ارتدّ هو من جنس جهاد الطلب، وهذا خطأ صريح فإنه من جنس جهاد الدّفع إجماعاً.

٢ – زعمه أنّ غزوة بدر هي للدّفاع عن بلد المسلمين الذي غزي من قِبل الكافرين، وهذا يعلم خطأه وبطلانه كلّ من علم شيئاً عن غزوة بدر، وأنّ سبب الغزوة هو خروج الصحابة لقطع الطريق على عير قريش بقيادة أبي سفيان قبل إسلامه.

٣ – أمّا نفيه لوجود الطائفة المقاتلة المتكتّلة على الكتاب والسنّة فهو نفيٌ لحقيقة وجود الطائفة المنصورة وهذا ضدّ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم.

٤ – وأمّا الخطاب الشّنيع فهو زعمه أنّ أعمال جماعات الجهاد هي خطأ لأنّها لم تقع من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلاّ في العهد المدني، وكان في ذلك إشارة إلى أننا نعيش الآن في العهد المكّي وهي لا تجوز لنا، وهذا ينفي حقيقة كمال الدين وتمامه وأنّه لا يجوز للمسلم أن يعمل إلا بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الاستضعاف، ومجرّد تصوّر هذا القول كاف لإبطاله وردّه.

وهناك نموذج ثانٍ لمثل هذه الأشرطة التي يحاول فيها البعض (التيّار المذكور) في دفع الشيخ إلى الطّعن في الحركات الإسلامية والشّخصيّات الدعوية، هذا الشّريط هو: "الاعتدال في سيد قطب". فالشريط مليء بالتّحامل من قبل بعض الصّبية على أبي الأعلى المودودي وعلى سلمان بن فهد العودة، وعلى سيّد قطب. ولو لا أنّ الشيخ عنده من الخلفية العلمية والاحترام السابق لهؤلاء المذكورين لسمعنا ما لا يُحمد ولا يرضى عنه مسلم. فقد بدأ شابّ يسوق بعض الأخبار والقراءات في كتب أبي الأعلى، ودروس سلمان بن فهد العودة، يحرّض الشيخ ناصر عليهما ليقول فيها قولاً يرضي غرور وطفوليّة هذا الشّاب، بل كان في الحقيقة يدفع الشيخ إلى تكفير أبي الأعلى المودودي، فإنّه كان يسوق له كلمات (لأبي الأعلى) لا ندري كيف كان يحملها على هذا المحمل السّيء؟.

هذا التيّار البدعيّ الضّال يصبّ جام غَضَبه عادة على الأستاذ سيّد قطب، وهم ينقمون عليه أنّه أوّل من جلى في هذا العصر توحيد السيادة (الحاكمية). وقد قام هذا التيّار بقيادة شيخ من شيوخه في الحجاز هو الدكتور ربيع المدخلي بتجميع مؤاخذات هذا التيّار على سيّد قطب في كتابٍ لهم، وكان من حسن الطّالع أنْ عُرض هذا الكتاب على بكر أبي زيد الذي كان وكيلاً لوزارة العدل في الحكومة السعودية، فما كان منه إلاّ أن قال كلمة حقٍّ في حقّ سيّد قطب، وبيّن رأيه في مستوى ربيع المدخلي وأنه لا يعدو إلاّ أن يكون طالباً في المرحلة الإعدادية، فأسلوبه جدُّ مهترئ فجّ، ومعلوماته سطحية، ويحاول بكلّ جهده تفسير ألفاظ كتب سيّد قطب على غير المحمل الحسن، وأن النظرة السيئة والخلفيّة المتعمدة للطعن هي السائق لمثل هذا الكتاب.

ونحن لا ندري لمصلحة من تشن الغارات الجاهلية على مثل سيّد قطب؟ ولكن الذي نستطيع أن نفهمه بكلّ وضوحٍ وجلاء أن هؤلاء القوم ينكرون على سيد جوانب الحقّ فيه، فهم لا يهمّهم في سيّد في أنّه يقول أن القرآن مخلوق، أو أنّه يقول بوحدة الوجود، أو يقول بقول الجهم في الأسماء والصفات، نحن نفهم أن هذه الأمور لا تعنيهم من قريبٍ أو من بعيد، مع أن سيّد قطب رحمه الله تعالى بريء من هذه التّهم براءة ماء المزن من شوائب الأرض، لكن الذي يغضب هؤلاء القوم هو أن سيد جلّى للمسلمين في هذا العصر الشِّرك الذي يقع فيه أولياء أمور هؤلاء الصِّبية، وأنّه يكشف للمسلم المعاصر أن شرك الدّساتير لا يقِلّ في عظيم جرمه وأهمّيته عن شرك القبور والأوثان، وسيّد رحمه الله هو الذي يكشف للمسلم جوانب الخزي الذي تعيش فيه الكثير من الحركات الإسلامية في دخولهم مع الطواغيت في الحكم والولاية.

والعجيب أن كافّة تيار الإرجاء في جميع بلاد المسلمين يصبّون جام غضبهم على سيّد وكتبه. إن سيد قطب رحمه الله يكشف عوراتهم، فلا بدّ من إسقاط قيمته وقيمة كتبه، سيّد تأبى سياسته أن تشهد للطَّاغوت بالشرعيّة، وهم يبصمون بأنوفهم على أحذية الطّاغوت.

طــرح الشــيخ ناصر شعار التصفية والتربية، وجعلهما سببا التغيير وإعادة الإسلام إلى الحياة، وقد قصــد بقوله التصفية أنّه يجب علينا تنقية الإسلام ومصادره من الشوائب والأخطاء التي ولجت فيه، ومن أمثــلة ذلك ما دخل على الأمّة من الأحاديث الضّعيفة والموضوعة، وهما من مصادر البدع والضّلالات الــتي حدثت في أمّة الإسلام، فكان لابدّ من تمييز الصحيح من الضعيف، وإنّ في الصحيح غناء وكفاية، ولا حاجة للمسلم في دينه للأحاديث الضعيفة والموضوعة، بل إنّ هذه الأحاديث هي سبب انحراف تصوّر الــنّاس عن الدين الصّحيح، وصرف الشيخ كل جهوده في هذا المضمار، فجعل من مشاريعه القيّمة هو: تقريب السنّة بين يدي الأمّة، وكذلك سلسلة الأحاديث الصّحيحة، وسلسلة الأحاديث الضّعيفة والموضوعة وأثــرها الســيّء في الأمة، وحُقّقت بعض كتب الحديث المهمّة ككتاب السنّة لابن أبي عاصم، واختصر كــتاب العــلو للإمام شمس الدين الذهبي، وهكذا جرى على هذا العمل الطيّب سيراً وتكملة لمسيرة الأئمّة الأوائل الذين اشتغلوا بهذا الفنّ العظيم مثل ابن حجر العسقلاني وتلامذته.

ولكــن مــا يهمّــنا في هذا الباب مناقشة موضوع التصفية والتربية كأسلوب يختطه المسلم من أجل التغيير نحو إقامة الدولة الإسلامية المنشودة، وقبل أن نناقش هذا الموضوع من وجهة نظر صحيحة، فإننا لا بدّ من أن نقدّم بمقدّمات يسيرة تكشف للقارئ بعض الجوانب:

- 1ما زال الخطاب عند الشيخ ناصر والتيار المؤيّد له يرى في قضية توصيف الواقع مرتبط أهمّيته فــي النظر إلى شخص الحاكم والخلاف فيه، فالشيخ إلى الآن لم يخرج منه ما يحدد هذا الباب سوى أنّه يجعل قضية الحكم بما أنزل الله تعالى واستبدال الشريعة قضيّة تحاج إلى قرينةٍ أخرى للحكم على الحاكم بكفره، هذه القرينة هي الاستحلال. وهذا كلام قاله منذ القديم حين علّق على شرح الطحاوية، وجعل الواقع الــذي تعيشه الحكومات ورجالها هو قضية الخلاف الحاصل قديماً بين العلماء، وهي بأنّ الحاكم إذا حكم فــي واقعــة، أو وقائع، بغير ما أنزل الله بغير استحلال لذلك هو عاص، وأنّه إذا استحلّ كَفَر وخرج من الملّة، ومع أنّ هذا القول هو قول قديم له إلاّ أنّه ما زال يكرّره في أشرطته، ويُنزله على الواقع المعاصر، بحيث يقسّم الحكّام المعاصرين في الدول الكافرة إلى قسمين:

أ) قسم كافر ومرتد، وهذا المستحل للحكم بغير ما أنزل الله. ب) قسم آخر لم يكفر كفرا صريحاً، لأنه لم يثبت عليه شرط الاستحلال.

وهذا القول قولٌ غريب من جهة الشرع، وغريب من جهة تصوّر الواقع المعاصر على هذه الصّفة، فإن الواقع المعاصر يدلّ على أن هؤلاء الحكّام وطوائفهم شَرعوا للنّاس أحكاماً جديدة، وقد أجمع الأوائل مــن أئمّتــنا عــلى أن مطلق التّشــريع على خلاف الشّريعة هو كفر وردّة، وممّن ذكر الإجماع الإمام

الشاطبي – رحمه الله – في الاعتصام ودليله قوله تعالى: {ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه وإنّه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنّكم لمشركون}. فقد فرّق الشّارع بين مستويين من المعصية: المستوى الأول: هو أكل الميتة فجعله فسقاً. المستوى الثاني: طاعة الطاغوت في القول بحِل أكل الميتة، فجعله شِركاً.

وعلى هذا فإنّ المشرّع على خلاف شريعة الرحمن هو كافرٌ ومرتد، ولو اشترطنا في حقّه الاستحلال، فإن تشريعه هو استحلال لذلك، فلو أنّ رجلاً قال للناس أحللت لكم الميتة، لكان طاغوتاً كافراً، ومن أطاعه كذلك، وهذا خلاف من أكل لحم الميتة وهو يعتقد حرمتها.

ولذلك جعل الشيخ محمّد بن إبراهيم آل الشيخ في رسالته "تحكيم القوانين" أنّ مِن أعظم أنواع الشّرك الأكبر هو مجرّد أن يفتح الحاكم للنّاس محاكم تحكم بغير الشّريعة الإسلامية، وعلى هذا فإنّه إن جاز للأوائل التّفريق بين حاكمٍ مُستحل وآخر غير مستحل (وهي مسألة مختلف فيها أصلاً) إلاّ أنّه لا يجوز أن يختلف النّاس عليها الآن، وأنّ واقعنا هو في مسائل لا ينتطح فيها عنزان كما يُقال.

- 2مـا يزال الشّيخ يرى أنّ قضية تكفير الحاكم مسألة لا أهمّية لها، ويجب أن لا تُشغلنا ولا تشغل بال الشّباب المسلم، فإنّه كثيراً ما يسأل عن الحكّام وكُفرهم فيكون جوابه: وماذا يفيدنا تكفير الحكام وعدم تكفيرهم؟ وقوله هذا خطأ بيّن، لأنّ هذه المسألة لا تُعدُّ تَرَفاً فِكريّاً، وليست هي من المسائل التصوّريّة التي لا تفرز واقعاً وسلوكاً وعملاً، لا بل هي مسألة مهمّة جدّاً في حياة النّاس، فإنّ المرء حين يعتقد كفر هذا الحاكم، ثم جمع هذا الحاكم حوله طائفة وجماعة تدافع عن هذا الكفر وتحميه بالشّوكه والسّلاح، فإنّ الواجب على المسلم أولاً أن يعلن براءته من هذا الحاكم وجنده، لأنّه من أقسام الطاغوت التي أمرنا الله باجتنابها، ثمّ هناك حُكم شرعيّ عملي معلّق بهذا التصوّر، وهو أن الحاكم إذا كفر وجب الخروج عليه بالإجماع، ولا يجوز للمسلمين أن يقبلوا به، أو يطيعوه، بل عليهم أن يسعوا بكلّ جهودهم وطاقتهم لإسقاطه واستبداله، ولذلك نرى الكثير ممّن حول الشيخ لا يأبهون بمثل هذه الأمور، فتجد أحدهم صار معاوناً للحاكم أو داخلاً في طائفته، ولا يُنكر عليه من قبل هذا الفكر، فمثلاً محمّد إبراهيم شقرة وهو رجل مقرب من الشّيخ ناصر، هذا الرجل يعمل مستشاراً لوليّ عهد الطاغوت في الأردن، وهو لا يرى بأساً بموالاة هذا الحاكم والدّخول في نظامه وطائفته، ثمّ هناك رجلٌ مقرّب من هذا التيّار هو بشّار عوّاد معروف، وهو رئيس جامعة صدام الإسلامية في العراق، وهو رجلٌ من رجالات المرتدّ صدّام، بل يُعتبر سفيراً لصدّام عند الكثير من الحركات الإسلامية.

ثم إنّ المعتقدين بإسلام هؤلاء الحكّام وأنّهم لم يخرجوا من دين الله تعالى يرى أنّ جماعات الجهاد التي تسعى جاهدة في مجاهدة هؤلاء الطواغيت واستبدالهم هم أهل فتنة وضلال، بل ينبزونهم بأنّهم من فكرِ الخوارج، بل لا يتورّعون في تسميتهم بأسماء أطلقها الكفّار عليهم كجماعات العنف، أو الإرهابيين، بينما يعتقد من آمن بكفر هؤلاء الحكّام أنّ من دخل في طاعة هؤلاء الحكّام ووالاهم هو إمّا كافرٌ مرتد

أو جـــاهل بحقيقة الواقع، لكنّ جهله هذا لا يمنع من دخوله في مسمّى الطائفة الممتنعة التي أجمع العلماء على قتالها كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.

وعلى هذا فإن الخلاف في تكفير هذا الحاكم وعدم تكفيره هو مسألة مهمّة ينبغي أن ينظر إليها بعين الأهمّية، وخاصّة حين يكون كفره متعدّياً إلى غيره كما هو واقع الآن، فإنّ كفر الحاكم ليس مقصوراً عليه فـــي مســـألة اعـــتقادية، بل هو في مسألة متعدِّية، وهي إجبار الناس على الدخول في أحكام المشركين، وإجـــبارهم على التّقاضي إلى الطّاغوت، ثمّ إنّ السّكوت على هذا الأمر أوقع الناس في بلاءٍ عظيم شديد، وهو أنّ هؤلاء الحكّام فرضوا من الأنظمة والقوانين الكافرة وأجبروا النـــّاس الاحتكام إليها، ثمّ عَملوا بكلِّ جهودهم على تسهيل خروج الناس من دين الله تعالى، فإنّهم حسّنوا للنّاس الكفر والعلمانية، وصوّروا لهم أنّ حســـن المعيشة وطيب الحياة لا يقع إلا بولوجهم في المعاصي كالرّبا والزنا وشرب الخمر، وعلى هذا فـــإنّ الكثير من الدول عاد أهلها إلى الجاهليّة الأولى، حيث ترك الناس آخر حلقة تربطهم بالإسلام وهي الصلاة، وهذا كلّه لم يقع إلا بسبب هذه الطوائف الحاكمة، والسّكوت عليها.

إنّ الواجب على العلماء والدعاة أن يدرسوا هذه المسألة دراسة واعية، ويتجرّدوا في البحث وصولاً إلى الحقّ، وما أظنّ أن تكون هذه المسألة (مسألة تكفير الحاكم) هي من المسائل المتشابهة التي يجوز فيها الخـــلاف، لأنّها متعلِّقة بالأصول العظيمة التي أبان الشارع أمرها حقّ البيان، وليست هي بأقل أهمية من أحكام الجنائز وغيرها، بل هي فيصل الصّدق بين الإيمان بالله والإيمان بالطاغوت، بل بين قتال المؤمنين في سبيل الله وبين قتال جند الطاغوت في سبيل الشيطان ودين الملك.

ثـــمّ ألا تستحق هذه المسألة أن تبحث كمسألة تحتاج إلى تصفية ما علق بها من شوائب فكر الإرجاء المنحرف، وتصفية إرادة المسلم من فكر الصوفيّة المهترئ؟.

كيف فهم السّلف شعار التّصفية والتربية؟ من المعلوم عقلاً وشرعاً أنّ كل فعل يحتاج المرء لتحصيله لا بدّ أن يسلك له طريقاً سننيّاً محدّداً ومعلوماً، ولا بد من أن يكون هناك رابط بين السبب والمسبّب، وهذا الرابط حين يكون قدرياً يكون شرعياً، وحين يكون شرعياً يكون قدريّاً، والمسألة تبدأ بتحديد المراد وتبيّنه ثمّ بمعرفة الأسباب الشرعيّة الصّحيحة الموصلة لهذا المراد، فهي تبدأ علماً ورغبةً ودراسة وفقها، ثمّ إنّه إذا قـــوي الداعـــي لتحصيل المطلوب بدأ المرء بتجميع هذه الأسباب والاستكثار منها، مع إزالة العوائق والتقليل منها، وحينها يشرع المرء في السير السنني الصحيح لتحصيل المراد والمطلوب.

فـــي التاريخ الإسلامي، ولعوامل سننيّة دخل على المسلمين ما دخل على الأمم السّابقة، حيث دخلت عليـــنا الخرافة واستقرّت في أذهاننا وصارت منهجاً متّبعاً في تفسير أحداث الحياة والكون، وإذا وجد في المســـلمين من تكلّم عن توحيد الشرع، وبيّن مدى الانحراف الذي وصلت إليه الأمّة، ثم حاول المرّة تلو المـــرّة فـــي ردّها إلى الطريق الصحيح – مع أنّه لا تزال تعاني مرض الإرجاء الخبيث – إلاّ أنّ توحيد القـــدر لا يزال وإلى الآن يعاني ضعفاً شديداً، دراسةً وفهماً، فعامّة النّاس ومنهم قادة الجماعات ما زالوا

يفسّرون الأحداث عن طريق حركة الغيب الجبرية دون أيّ اهتمام بالعوامل السننية القدرية، مع أن المرء لا يمكن أن يجرّد توحيد القدر تجريداً صحيحاً إلاّ بعد أن يفهم توحيد الشرع ويعمل به حقّ العمل.

ولتفسير ذلك نقول: من المعلوم أنّ مراد توحيد الشرع هو تحصيل التقوى، والتقوى هي: امتثال الأوامر الشرعية لتحقيق الوعود الإلهية، والأوامر الشرعية هي أسباب قدرية، وعلى هذا فإن الله أمر بالكسب، (فهو أمرٌ شرعي وسبب قدري) وبه يتحقق الكفاف، والذي هو (وعد إلهي).

وقد أمر الله تعالى بالجهاد فهو أمرٌ شرعي وسببٌ قدري وبه يتحقّق النّصر، وهو وعدٌ إلهي، فالوعد الإلهي لا يقع إلاّ بفعلٍ بشريّ على الوجه الصحيح، ويثبت الوجه الصحيح عن طريق الحكم الشرعي والحكم القدريّ، إذا فهمنا هذا وقلبنا القاعدة فإنّ المخالفات الشرعيّة، وهي ضدّ التقوى (والمخالفات تكون بالترك، أو بعمل الخطأ) تتحقق بها عقوبات إلهية، والمخالفات الشّرعية هي أسبابٌ قدريَّة.

ولو أردنا أن نمثّل الأمر عن طريق الخطوط فيكون كالتالي:

(١) القاعدة الأولى: أوامر شرعية <--> التقوى <--> أسباب قدرية وعود إلهية (أقدار).

(٢) القاعدة الثانية: مخالفات شرعية <--> المعاصي <--> أسباب قدرية عقوبات إلهية (أقدار).

وهاتان القاعدتان هما قانونا الدنيا والآخرة. إذاً لا بدّ أن نحدد المطلوب ثمّ نعرف سبب تحقيقه وكيفية الوصول إليه ثمّ نعمل بهذه الأسباب ونجدّ بها للوصول إلى المُراد. وهذا أمرٌ يقع على كل أمر، وفي جميع أطوار الحياة.

ولمّا دخلت عقيدة الإرجاء الباطلة (وهي لا تعطي قيمة للأمر الشرعي، بل هي ترى القيمة الأولى والأخيرة للعلم والتصديق) وتآخت هذه العقيدة مع عقيدة الجبر (وهي كذلك لا تعطي قيمة للعمل السنني، بل ترى أن الحياة تُسيّر بطريقة غيبيّة مطلقة) أفرزتا في المسلمين طرقاً ومناهج في فهم الأمور وطرُقِ تحصيلها، فجاءت العقيدة الصّوفيّة واستغلّت ذلك كلّه (والصوفيّة تقوم على المنهج الغنوصي العرفاني الذي يقوم على تفسير الأمور تفسيراً باطنيّاً – يزعمونه غيبيّاً – ويستمدّ رؤاه من الكشف والجذبة وحقيقتهما الجنون) ولإضباغ النظر الصّوفي صبغة إسلامية شرعية فلا بدّ من خلط الأمور بأسماء شرعيّة ولكن على الحقائق الكاذبة، فمثلاً لو سألت رجلا (عارفاً، وليّاً، صوفيّاً) عن الطريقة المثلى لتحقيق النّصر على الأعداء لأجابك بنفس مطمئنّة أنّ الطريق الصحيح هو قيام الليل أو صوم النهار، وهو بهذا يستخدم معك سيف اللفظ الشرعي، وبه يمنعك من الاستهزاء والرّفض، فإنَّ قيام الليل أمرٌ عظيم في دين الله، ولكن ليس بقيام الليل يتحقّق النصر، ولا بصوم النهار يتحقّق كذلك، بل الواجب على أمير الجيش أن يأمر المقاتلين بعدم السّهر ومنه قيام الليل، ويحضّهم على الإفطار تقوية لأبدانهم، فليس كلّ أمرٍ شرعي يصلح أن يكون سبباً شرعياً وقدرياً لأي وعدٍ إلهي، بل لا بدّ من التوافق الشرعي والقدري بين السبب والمسبّب.

إذاً القضيّة التي يجب تجليتها هي قضيّة كليّة متعلّقة بتصحيح مفهوم النّاس حول واقعهم ثمّ السير بهم نحو أهدافهم. نعم هناك ما هو جزئي يعين هذا الكلّي ويجلّيه وهو بيان ضلال وفساد ما وضع في الشريعة من أحاديث مكذوبة وضعيفة.

وعلى هذا فشعار التصفية والتربية لا يكون له قيمة أبداً إذا لم نحدّد ماذا نريد، وهو الذي يسبقه حتماً ولزوماً وصفاً حقيقياً لواقعنا الذي نعيشه ونحياه.

وهــنا أجدني مضطراً لنقل ما قاله الأخ إبراهيم العسعس في كتابه الجريء "السلف والسلفيّون رؤية من الداخل" ليخدم هذا الموضوع، يقول: "كيف سيستأنف السلفيّون الحياة الإسلامية؟".

يقول: "وقبل (كيف) هذه، هناك سؤال ينبغي أن يسبقها وهو: هل يفكّر السلفيون في هذا الموضوع؟ ما هو حجم الحيّز الذي تشغله هذه القضية من اهتماماتهم؟".

ثــمّ يــتابع: "كانت بداية السّلفية المعاصرة بداية علمية، تدعو إلى مجموعة من الأصــول المعلومة، وجهدهم الذي تعلّق بالواقع انصبّ على محاربة المذهبية، والشرك المتعلق بالقبور والرقى والتمائم، والبدع العملية المنتشرة في الأمّة، ولم يكن لهم جهدٌ ولم يزالوا كذلك، يتعلق بالواقع العام للأمّة، ولم يطرقوا من توحيــد الألوهيــة مــا يتعلّق بالحاكميّة والتشريع، بل إنّ رموز السلفية يفتخرون بعدم وجود علاقة لهم بالسياســة، ففــي نظرهم أن السلفية كلمة تنفي بمعناها المتبادر منها، أي معنى يدل على حركة سياسية". ثــم يقــول: "إنّ المتتــبّع لرســائل (الدعوة السلفية) يجد أمراً جديراً بالملاحظة، وهو أنّ استئناف الحياة الإســلامية لم يكن من ضمن أهدافهم التي اعتادوا ذكرها على الغلاف الأخير لرسائل الدعوة السّلفية، ثمّ مــنذ سنوات درجوا على ذكرها، استجابة – كما يبدو – لضغط التيّار الإسلامي الذي يدعو إلى استئناف الحياة الإسلامية، فأضافوها مجاملة ورفعاً للعتب".

ويقول بعد ذلك: "الآن قطاعٌ كبير من الشّباب السلفي بدأ ينتبه إلى واقعه ولزوم تغــيره بعد أن وجد أنّــه قضى ردحاً من عمره مهتمّا بواقع الأئمّة (أي القدماء)"، ثمّ يتابع: "أمن أجل هذا بدأت ألسِنة البعض تجلدهم، وأقلامهم تطعنهم؟"، ويتساءل قائلاً: "لحساب من يراد من السلفيّة أن تقبع في القبور؟ ولحساب من يراد من السلفية أن تتحول إلى دار نشر توظّف مجموعة من الكتبة الذيــن يحترفون تحقيق رسائل، جهلها لا يضــر، وعلمها لا ينفع، رسائل لا يخرج تداولها – عند التدقيق – عن كونه تجارة ورق؟ لحساب من يــراد للســلفية أن تبقى محصورة في تصفية الأحاديث؟ وإلى متى؟ لحساب من توضع الأيدي على آيات توحيــد الإلهيــة، ويهمــل شــرك الحاكميــة، ويســكت عــن الطاغوت، بل ويوالى ويحبّ ويمدح؟". ثــم يقول: أسئلة مشروعة تحتاج لإجابات واضحة وتقتضي من الإخوة السلفيين لحظة تأمّل لعلنا وإياهم نحيــي منهجاً للسّلف اندرس، ونسير في طريق لأهل السنّة انطمس، ولعلّنا وإيّاهم نحيي سنّةً لرسول الله صلى الله عليه وسلّم في عداوة الطاغوت ونصر التوحيد. اهــ.

نعم صدق الأخ إبراهيم، ونعم ما قال، وكتابه هذا جدير بالقراءة والدّراسة وهو يدل على أن الشباب السلفي أتقن القواعد وصار يستخدمها مع درجة عالية من الفهم لواقعه، وما أظنّ شيوخ المنهج يضرّهم أو يغضبهم أن ينطلق تلاميذهم يعيداً عنهم نحو الأمام وبالاتّجاه الصحيح، لأنّ المنهج نفسه يدعو لهذا وينصره ويريده، وقد كان الشيخ ناصر كثيراً ما يدعو تلاميذه لمراجعته ومناقشته وينهاهم عن تقليده أقول هذا الكلام مع خشيتي على المنهج السلفي من اللصوص، وقطّاع الطّرق من أن يسرقوا جوهره، ويحوّروا حقيقته، وما هذه الورقات التي كتبتها عن الشيخ إلا محاولة لتطبيق المنهج ولتصحيح المسار لأن المنهج أهمّ وأولى من كلّ المصالح.

ومرادي من هذه الكلمات هم أصحاب النظر السديد والعقل الراجح التاركين للتقليد والعصبية مع علمي الأكيد أنّ المقلّدة لن يسكتوا بل سيُثيروا حَولي التّهم وربما استخدموا الشيخ ضدّ هذه الكلمات ببتر بعض الجمل عن موضعها وإنزالها على غير حقيقتها بل ربّما قد فعلوها فالله حسيب الجميع وهو مرادي ومقصدي ولا حول ولا قوة إلا بالله.

طائفة الأحباش

طائفـــة الأحباش هي نسبة لرجل حبشي الأصل من إثيوبيا يسمّى عبد الله ولد في هرر من بلاد الحبشة، وصـــل إلى لبنان سنة ١٩٥٠م، وجمع حوله جماعة ربّاهم على فكره وعقليّته، وتنامت أفكاره حتّى صار لهـــا وجـــوداً ظاهـــراً مشـــهوداً في لبنان، وسيطرت هناك على جمعية تسمّى جمعيّة المشاريع الخيريّة الإسلاميّة، وهي جمعية كانت توجد قبل مجيئه لبنان، ولكن استطاع السيطرة عليها هو وأتباعه، ثم تنامت هـــذه الطائفة حتى تعدّت حدود لبنان إلى مناطق أخرى، مثل أمريكا وكندا وأستراليا وأوروبا، وهي الآن تعمـــل جاهدة داخل الجمهوريات الإسلامية الآسيوية، وخاصّة تلك الولايات التي خرجت من تحت الحكم الروسي، وقد بلغت قوّتهم في لبنان أن أنشأوا إذاعة باسم "نداء الإيمان" ولهم مجلّة باسم "منار الهدى"، وقد أوصلوا أحد رجالهم إلى البرلمان اللبناني وهو عدنان الطرابلسي.

وطائفـــة الأحـــباش من طوائف الكفر والردّة في العالم الإسلامي التي يجب على المسلمين أن يعملوا جـــاهدين بكل قوّتهم لكشف حقيقتها، وتعرية خدعهم وأكاذيبهم على المسلمين، وقد قام عدّة باحثين جادّين لتـــبيان مـــا هـــم عليه من الضلال والانحراف، وعلى رأسهم الباحث عبد الرحمن دمشقيّة، وللأسف فإن المســـلمين لا يســـارعون إلى معالجـــة الأمـــر إلا بعد استفحاله واشتداد خطره، ولو أنّهم يقومون دوماً باجتثـــاث الشّر من بدايته لما نمت في الأمّة مثل هذه الطفيليات الخبيثة.

وقد كان بمقدور الشّباب المسلم أن يعالجوا الشيخ الضال الحبشي برصاصةٍ رخيصة الثّمن في لبنان من بداية أمره، ولو فعلوا لكان الآن أثراً بعد عين، ولكن هذا الحبشي وأمثاله الآن قد اشتدّ عودهم وقويت شـــكيمتهم حتّى صاروا أكبر من معالجتهم بالأبحاث والدّروس، وأهل السنّة في هذا الزّمن من أبعد الناس عـــن الأخذ بالطريق السنني لمعالجة مثل هذه الانحرافات، ولا يعالجونها كما عالجها الصحابة رضي الله عـــنهم، فأمثال هذه الانحرافات وهؤلاء الشيوخ يجب القضاء عليهم بالذّبح في بداية أمرهم، وهم لا شهرة لهـــم ولا حساً ولا خبراً، ولكن أهل السنة الآن وللأسف يعالجون عامة مشاكلهم بالتّباكي ويبدأ صراخهم على الأمور بطريقة جنائزية كأنهم في محفلٍ كربلائي شيعي.

ولعل هذه الفقرة وإن كانت لا تدخل في صلب موضوع الأحباش لكن لا بدّ من معالجتها ولو بطريقة عابرة، تكشف لنا عن عمق الخلل في التنظيمات والأحزاب والتّجمّعات التي تنتمي لأهل السنّة، فلو أخذنا مـــثلاً جمال عبد الناصر وجماعـــة الإخوان المسلمين لرأينا مثلاً صارخاً لما نقول، فماذا كان يحتاج عبد الناصر ليُقضى عليه وينتهي أمره وهو في بداية أمره؟ الجواب: لا شيء.

ولو سألنا عن علي عبد الله صالح الحاكم اليمني الآن، وقدرة الحركة الإسلامية على القضاء عليه في مظاهـــرة التصويت على الدستور؟ لو قضي عليـــه لن يبكي عليه أحد، ولن يذكره أحد، وهو الآن سيشتدّ عوده، وسيجعل الحركة الإسلامية هناك في اليمن في الأيام القادمة من مقبِّلات ومشهِّيات طعامه.

ونحن لا نضرب بالغيب ولكن نتعامل مع السنن، وهو أن هؤلاء الطواغيت لن يقبلوا بوجود الإسلام أبـــداً، وإذا ســـكتوا عنه في ظرف معيّن فإنّما هو لتحقيق بعض مصالحهم على حساب الحركة الإسلاميّة والأمثـــلة كـــثيرة كـــثيرة، وهذه الأمثلة هي التي تبين أن أهل السنّة يخافون الدماء، ويتّقون إراقتها فزعاً وخوفـــاً تحـــت باب المصلحة، ولكنهم بعد حين يدفعون الثّمن غالياً وأضعاف أضعاف ما اتّقوه وخافوه، ورضي الله عن أبي بكر الصديق حين استنفر الصحابة لقتل المرتدّين واجتثاثهم من جذورهم قبل أن تقوى شوكتهم، وتتهيأ لهم أحوالهم.

ولنعلم أن الكفار هم الآخذون حقّاً هذه الأيام بهذه السنّة القدريّة، إذ أنهم يعالجون رموز أعدائهم بالقتل والإفناء، وهم يعملون بقاعدة "الكبار لهم القبور والصّغار ينسون".

وأنـــا مضـــطر الآن لسوق مثال صارخ على هذا الأمر، هذا المثال هو صدام حسين: صدام حسين البعثي العراقي هو نموذج واضحٌ في إتقانه فن ركوب غيره، ليصل به إلى مقصده، ثم يقوم بذبحه قبل أن يستفحل أمره والأمثلة منه ومعه كثيرة، منها:

(1)عندما قام صدام حسين مع رفاقه البعثيين بانقلابهم في يوليو ١٩٦٧ كان الانقلاب قد قام بثلاث فرق عسكريّة بقيادة إبراهيم الدّاود قائد قوّات الحرس الجمهوري، وعبد الرزّاق النايف مدير المخابرات، والفـــرقة الثالثة بقيادة حزب البعث، وكانت تحت إمرة حسن البكر وصدّام حسين، وحتى لا تنسى الأمة، ويسجّل للتاريخ فإن الداود والنايف كانا من أصحاب التوجّه الإسلامي، بل كان أحدهما عضواً في جماعة الإخـــوان المسلمين ولذلك عندما قام الانقلاب سَرَى في صفوف الإخوان المسلمين في كثير من البلاد أن هذا الانـــقلاب هو إخواني إسلامي، وما هي إلا سحابة صيف حتى دخل صدام حسين بمسدسه عليهما في وزارتيهما وأخرجهما كالفئران، ثم اغتال أحدهما وهو النايف، والثاني مازال حياً إلى الآن، فكان الإخوان المسلمون هم المركوب الأوّل.

(2)عندما قامت الحرب العراقية الإيرانية في سبتمبر ١٩٨٠، لم تكن المعركة معركة عقيدة إسلاميّة، بل هي معركة حزب البعث الكافر وفي هذه المعركة كان المسلمون هم المركوب الثاني كذلك، إذ استطاع صـــدّام حســـين أن يستنفر كثيراً من الطوائف السنّية لنصرته وتأييده تحت لواء مقاتلة الشيعة الروافض، وبقدرة قادر صار صدام حسين هـــو المنافح والمدافع عن عقيدة أهل السنّة والجماعة ضد الشيعة الكوافر، وطبّل أغبياء المسلمين لتأييده وتمجيده، ودعوا له على المنابر، وصارت بغداد البعث هي قبلة أهل السنّة وخاصـــة السلفيين الأغـــبياء، حتى أن محمّد إبراهيم شقرة أرسل له رسالة ملأها كذبا وزوراً في تمجيد صدّام حسين وقال له فيها (بالنص): من محمّد بن إبراهيم شقرة إلى أخيه درع العراق الحصينة، وطوده

الـــباذخ الشّـــامخ الـــرئيس صدام حسين وقاه الله شر حاسديه، وحقّق على يديه للأمّة ما هي راجية فيه، وأكرمه في أخراه، كما أعزّه في دنياه... ثمّ يقول فيها: "الكلمة عندك (أي عند صدّام حسين) ليست حروفاً متآلفة تجانست بحركاتها وترتيبها لتدلّ على معنى من معاني لغات الناس، وإن كانت هي في ذاتها آية من آيـــات الله فـــي خلقه {ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم} بل هي عندك حمم حارقة يرسلها قلب بغداد الرحيم الشّـــفيق على الباطل المتغطرس، فإذا هو بها زاهق"، ثمّ يقول عن كلمة التّوحيد: "وأنت أبا عدي (صدام) أحد الأفذاذ الذين ينـــتسبون إليها بصدق وولاء (أي لكلمة التوحيد)، هذا ظنّـــنا فيـــك، ولـــن يخيب إن شاء الله"، ويقول عـــن معركة صدّام البعثي ضدّ الروافض، ويصفها بأنّها القادسية: "حتى كانت القادسيّة الجديدة، وكان فارسها السديد الأبيد (أي صدام) وقمت على أرض الرافدين طـــوداً شامخاً، وتداعى العراقيون إليك أطواداً أطواداً، وألقت المجوسية بكل أثقالها...". ثمّ توالت الكلمات على هذا النسق.

وبعد أن توقّفت المعركة قليلاً، وقامت قوّات صدّام المرتدّة بقصف المسلمين بأسلحة كيمياويّة قضت عـــلى كلّ شيءٍ، وأهلكت الحرث والنسل، ومات الكثير من الأهالي الأكراد السنّة، ودُمّرت مدينة حلبجة (أي حـــلب الصـــغيرة) وضـــجّ العالم مع كفره لهذه الجريمة المنكرة، قامت جمعيّة إحياء التّراث (جمعية ســـلفية) الـــتي يرأس توجيهها الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في الكويت بإرسال رسالة تأييد لصدّام في موقفه ضد الإمبريالية العالميّة، وهي التي تكلمت في وقتها تحت ستار الدفاع عن الأكراد السنّة، على كل حال كان السلفيون هم المركوب الثاني.

(3) قـــام صـــدّام حســـين بغـــزو الكويت في أغسطس سنة١٩٩٠م، وكانت حركات التوجّه القومي الإســـلامي هي المركوب الثّالث ومنهم الإخوان المسلمين، حيث أعلن صدّام أن معركته هذه هي معركة الحضـــارة، حضـــارة العـــرب المسلمين ضد الإمبريالية العالمية!!! وتداعى إليه وإلى نصرته جماعات الانحراف للوقوف معه ضدّ أمريكا، وصار حديث الناس وميزانهم يدور حول: أأنت مع صدام العربي أم مع أمريكا الصليبية وحلفائها؟ هكذا صارت القسمة عند المسلمين تدور حول كفرين وردّتين إمّا كفر البعث أو كفـــر أمـــريكا، والغريب أن الصفّ الثـــاني في الكويت كان سؤاله كما طرحه إسماعيل الشطّي (رمز إخوانـــي كويـــتي) يقول: "هل أقف مع الـــتنظيم (في تأييده لصدّام)؟ أم أقف مع شعبي ووطني؟ فاخترت الشّـــعب والوطـــن، ونبذت الحزب!"، هذه الأسئلة من إسماعيل الشطّي وأمثاله تشعرك أنّه لا يوجد خيار الحـــق الـــذي أنزـــله الله تـــبارك وتعالى على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلّم في عقلية الجماعات والتنظيمات الإسلاميّة.

اهتمامنا بهذه الطائفة الخبيثة لأنّها صورة واضحة لما تفعله الأفكار الفاسدة بأصحابها، وهي مع أنّها تلـــتقي مع طوائف الصّوفية بخبث العقيدة، وانحراف التّصوّر، إلاّ أنها أعلنت بكلّ وقاحة وصلافة أنّها ما

قــامت إلاّ لمحاربـــة الموحّدين، وهي تعمل في هذا الطّريق بكلّ جدٍّ وثبات، بل إنّها تعلن ولاءها الكامل لدولة الردّة، الدولة النّصيرية في سوريا، ولا تخفي ولاءها لحكّامها الكفرة في لبنان.

ففي مجلّتها "نور الهدى"، لا تفتأ تعلن أنّ هذه الطائفة (طائفة الأحباش) هي الذّراع الأمينة التي يجب أن تعــتمد عليها الدّولة السورية المرتدة ودولة لبنان الكافرة في القضاء على الأصولية والمتطرفين، ففي العــدد الــرابع مــن مجلّة "نور الهدى" وفي الصفحة السادسة تخبرنا المجلّة أن رئيس جمعية المشاريع الحبشية نزار حلبي مع نائب الطائفة في البرلمان اللبناني التقيا مع نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدّام، وفي عامة أعداد المجلة لا بد من الإشادة بدور سوريا (الشقيقة) في لبنان وغير لبنان، وهي دائماً تحرّض عــلى إبــادة الموحّدين (أو كما تسمّيهم بالوهابيين). عقيدة الطائفة الحبشية: هذه الطائفة تقوم على العقائد الشركيّة، والعبادات الكفريّة ومنها: جواز الاستغاثة بالموتى، يقول الحبشي في الصراط المستقيم (وهو من عمــدة كتــبهم): "وليــس عــبادة لغيــر الله مجرد النداء لحي أو ميت، ولا مجرد التعظيم، ولا مجــرد الاســتــغاثة بغير الله، ولا مجرّد قصد وليّ للتبرك، ولا مجرد طلب ما لم تجر العادة به بين الناس، ولا مجرّد صيغة الاستعانة بغير الله تعالى أي ليس ذلك شركاً"[ص٥٣].

وهــي طائفــةٌ صوفيّة على طريقة أحمد الرفاعي، وهو رجل من بني رفاعة (قبيلة من العرب) ولد وعــاش في أيّام عبيدة من أعمال البصرة في العراق ومات فيها سنة ٥٧٨هــ، والرفاعيون يجعلونه من ســلالة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، ويجعلون رفاعة أحد أجداده، وهذه الطريقة هي من أخبث طرق الصّوفية، وتسمّى بالأحمديّة أو البطائحيّة، وقد شدّد عليها ابن تيمية النكير، وطائفة الأحباش يسمّون أحمد الرفاعي "غوث الثقلين"، وهذه الطائفة قد صرّح ابن تيمية بكفرها.

ومن أدبيّات هذه الطّائفة دوام ملاحظة ومراقبة أحمد الرفاعي لهم لاعتقادهم بحضوره معهم كل حين فــلذلك هــم يقولــون: وأنــت ملاحظي في كل حال فتداركني وشيّد أركان حبي، ويديمون الاستغاثة به:

يا رفــــاعي وقــــعت في أعتــابك فــتدارك عــبداً يــلــوذ بــبــــابك
يا رفــاعي يا غــوث كــل البرايــــا لا تــضــيع جميــل الرجــــا بــــك
أنــت حصــــن الملــهوف والباذل الــ معــروف والعــاجــزون من أحــزابك
وأنــــا عبــدك الــــذي باعتــــقاد علــقــت راحتــاه في أثــــوابــــك

والــرفاعيّة كبقية الصوفية يؤمنون بوحدة الوجود (وهي تعني أن الخالق هو عين المخلوق ولا فرق بينهما) وبهذا يقولون:

طلبت في الكون باقي كي أهــيم به غير الحبــيب فــسرّ الــحــبّ وافاني
وقال لي: خلّ عنــــك الغير منخلعاً عن الســوى، فالســوى من تدره فاني
فصــرت مــنه لــديه فــيه، عنه به والغير راح بلا تركي ونــســـيانــي

ويقــول إمــامهم فــي قلادة الجواهر وهو أبو الهدى الصيادي: "حتى ينتهي (أي الصوفي) إلى مقام الغوثيــة، ثــمّ يرفع منزلته حتى تصير صفتة مــن صفات الحق سبحانه... فإذا صح لهذه الأمور، صار عيــن سرّ الله في أرضه، فبه ينزل الغيث وبه يرفع البلاء، وبه تنزّل البركات، حتى لا تنبت شجرة، ولا تخضــرّ ورقــة، ولا يطــلع الله عــلى خــلقه إلا بــنظره، ولا تقطــر قطــرة إلا بإذنــه". هذا غيضٌ من فيض من أدبيّات وعقائد هذه الطائفة الخبيثة.

والأحــباش يزعمون أنّهم على فقه الإمام الشافعي – رحمه الله تعالى – وهذا كذب ودجل لذرٍّ الرماد فــي العيون، فهم في الحقيقة ملفّقون، يجمعون زلاّت العلماء وأخطائهم ويتبنّونها، وقال العلماء: "من أخذ بزلّة كلّ عالم اجتمع فيه الشّر كلّه" ومن تتبع أخطاءهم فقد تزندق.

وهــم يتفنّــنون فــي جمــع الــرخص والأقــوال الــردّية، يعــلّمونها الــناس ويفــتون بهــا. ومــن أمثلة هذه الفتاوى: ما شاع عنهم أنّهم حين يدخلون ديار الكفر كأوروبا، فإنهم ينصحون أتباعهم أن يدخــلوها بنيّة الغزو في سبيل الله، وإذا نسي أحدهم هذه النيــّة فإنّهم يطلبون منه أن يركب قارباً ويخرج من حدود البلد الدولية، ثمّ يرجع إليها بنية الغزو، فإذا دخلها بهذه النيّة جاز له أن يزني بنساء الكفّار لأنّهن سبايا حسب قولهم، وهذا فقهٌ أعوجٌ غريب، لأن ســبايا الكفار لا يجوز للمسلم أن يطأها حتّى يملكها، أي أن تصــبح له ملك يمين، وهذا لا يقع هنا أبداً، فهل الرجل الذي يدخل على المرأة ويستأجرها لساعة أو ســاعتين، أو يصــادقها أيّاماً ليقضي منها حاجته، هل صارت في ملكه ودخلت في حكمه؟. الجواب يقينا بالســلب، فالذي يقع هو عين الزّنا، وقد أشار لهذا الإمام الجويني (وهو فقيه شافعي) في كتابه "الغياثي"، فليُنــظر إليه.

ولهم كذلك مجموعة غريبة من الفتاوى، وأنصح الإخوة أن يطالعوا كتاب الأستاذ عبد الرحمن دمشقيّة وهو الموسوم بموسوعة أهل السنّة، في ردّهِ على الأحباش، حيث أفاض في ذكر مخازيهم..

موقفهــم السياسي: قلنا مقدماً إنّ هذه الطائفة الخبيثة تعدّ نفسها الذّراع الأمني للقضاء على الحركات الإسلاميّة، ورجالها لا يكفّون في بيان هذا الأمر، فهذا عدنان الطرابلسي نائبهم في البرلمان اللبناني يقول: "نحن في جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية نخالف حزب الإخوان الهدّام، فلسنا أصوليين بالمعنى السلبي، إننا لسنا مع الأصولية السلبيّة، هذه الأصولية المزعومة المراد منها الكرسي والزعامة والتخريب، لا لهذه الأصوليّة التي تكفّر حكّام العرب المسلمين لمجرّد أنّهم حكموا بالقانون من غير أن يعتقدوا أن القانون خيرٌ من القرآن".

ثــمّ يقــول: "ونحن لسنا في بلدٍ كلّ أبنائه من طائفةٍ واحدة، فها نحن نمدّ يدنا لكلِّ الوطنيين الشّرفاء لنســعى صــفّاً واحداً في سبيل بناء ما هدمته الحرب، عشــتم وعاش لبنان حرّاً عربيّاً مستقلاً، وعاشت جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية".

أمّا نزار حلبي وهو رئيس الجمعية الخبيثة (وهو للذكر يسعى جاهداً وبمباركةِ سوريا لأن يعيَّن مفتي لبـــنان بـــدلاً مـــن الشـــيخ حسن خالد رحمه الله تعالى) فهو لا يفتأ يردّد وجوب القضاء على الأصولية (الـــتوحيد)، ففي محاضرة له في طرابلس بعنوان: "المسلمون المعتدلون بين التطرف والتقصير والإفراط والتفريط" في هذه المحاضرة يشن الغارة على الموحّدين وخاصّة المجاهدين منهم، ويرى أنّ علّة جماعات الـــتّطرّف هـــو فكـــر المـــتطرّف ابن تيمية – رحمه الله تعالى – حتى أنه يردّد مقولة: "في قراءتك في منشـــورات التطرّف والعنف فتّش عن ابن تيمية عند البحث عن الجذور الأولى"، ويقول فيها: "ومن أبرز الذين قنّنوا هذه المسألة ووضعوا لها الأطر الحركيّة أبو الأعلى المودودي وسيّد قطب".

وهـــذه الطائفة لم تنس خلال حمى هجومها على حركات الموحّدين في العالم أن ترسل رسالة عزاء إلى الـــرئيس الســـوري، حافظ الأسد النصيري، تعزّيه فيها بوفاة ابنه باسل الذي مات في حادث مرور، ويسمّونه الشّبل العربي، ألا عليهم من الله اللعائن.

وفي حديثٍ للطّائفة عن الوضع في الجزائر نشرت مجلّة نور الهدى تحت عنوان "بعد عمليّات القتل والإرهـــاب التي يتعرض لها المواطنون على أيدي المتطرّفين الجزائر تحت وطأة الكابوس" يقولون فيها: "كـــثير من الجزائريين يأملون أن تتمّ السيطرة لقوّات الأمن الحكومي بعد الرّعب الذي عاشوه ولا يزالون مـــــن قبل المتطرّفين، في حين أن المغرّر بهم من قبل الجماعات المتطرفة لا يقلّون كثرة عن أولئك ممّا يهـــدد بحـــرب أهـــلية تجتاح الجزائر وتؤدّي إلى تفكّكها، خصوصا أنّ الاستثمارات الخارجية باتت شبه معدومة بسبب عدم الاستقرار".

وهكـــذا تواصـــل هـــذه الجماعـــة تباكيها على حكومات الردّة، ونصرتها لهم، وعداءها للمجاهدين والموحّدين، مع عقيدتها الشّركية الباطلة، فكن على حذر منها أيّها الأخ المجاهد والله الموفق.

كـــنت أظـــنّ زمـــناً أنّ هـــذا الرجل يمثّل النموذج الصارخ في فقه الهزيمة، أو كما يعبّر هو عنها بفقه الاستضـــعاف، وهـــذا الظنّ يعني أن الرّجل يفهم الإسلام كما هو، ولكن للظرف الاستثنائي الذي يعيشه الإسلام وأهله فإنه يجعل المسلم المعاصر يفرز فقهاً جديداً يلائم هذا الواقع، وهو فقه على الجملة موجود في داخل الإسلام ومفاهيمه، فمن الأمثلة الدالّة على هذا الفقه، موضوع الجهاد، فلو أنّ المسلمين غُزو من قـــبل الأعداء لكان الواجب عليهم ابتداءً هو دفعهم وقتالهم، ولكن لو أن المسلمين أيقنوا أنّهم لا يستطيعون دفعـــاً ولا مـــنعاً فـــلا بأس (من باب الجواز) أن يصالحوهم ويسالموهم، فالقتال هو الأصل، والصلح هو الاستثناء، وأنا ضربت هنا مثلاً بجهاد الدفع لاتّفاق النّاس عليه، ولم أضرب مثلا بجهاد الطلب الذي يُنكره الكثير من المشايخ والمفكرين في هذا العصر.

فراشد الغنوشي يكرّر دائما أن هذا الفقه الذي يطرحه هو فقه الاستثناء أو فقه الاستضعاف، وقد أشار إلى ذلـــك صريحاً في محاضرته التي سجّلها في آخر كتابه "الحريّات العامّة في الدولة الإسلامية" كملحق رقم (٧) بعنوان: "مبدأ مشاركة الإسلاميين في حكم غير إسلامي".

قـــلت: كـــنت أظـــنّ أنّ هذا الرجل يفهم الإسلام كما هو، ولكنّه يتعامل مع الواقع بما يلائمه من فقه وأحكـــام، حـــتّى طلب منّي بعض الإخوة: أن أكتب عنه في هذه الصفحات، كرجل له وجود على السّاحة الإســـلامية وهـــو قـــريب الصّلة بالوضع في الجزائر، فكان لا بدّ من القراءة الجديدة، أي أن أقرأ راشد الغنّوشـــي في فهمه للإسلام كما هو، وأن أقرأ أهداف راشد النّهائية بعد أن يصل إلى أن يكون عزيزاً لا مستضـــعفاً، فتـــبيّن لي أمر أذكره هنا في هذه المقدمة وسيكتشفه القارئ معي بعد الانتهاء من قراءة هذه الأوراق والـــتي تتبعها في الأعداد القادمة – إن شاء الله تعالى –، هذه النتيجة هي أن راشد الغنّوشي بكلّ صراحة ووضوح لا يمثّل الرجل السنّي في فهمه لدين الله تعالى، فهو: رجل بدعي العقيدة، منحرف الفهم، وبدعته تصل إلى البدعة المكفّرة.

عـــلى كلّ حال: لا تستعجل أخي القارئ، فلا بدّ من التريّث حتى تنتهي معي إلى النهاية، ولا بدّ من الإشـــارة هنا إلى أن موضوع التبديع والتكفير هو حقٌّ من حقوق الله تعالى، وليس هو حق بشري يمكن للمرء أن يساوم عليه، أو أن يتنازل عنه، وأقول هذا الكلام، لأنّي وجدت أناساً ينتسبون للسنّة والحديث، ثمّ هـــم حيـــن يُذكـــر لهـــم أن هذا الرجل كافر أو مبتدع فإنهم يقلبون الأمر معك على وجه من وجوه سعر البضـــائع، وكأنّك في محفل مماكسة لا في مجلس علم، ثمّ إنّ البعض يظنّ أنّ الرجل بمجرّد انتسابه إلى جماعةٍ مسلمة، أو إلى العمل الإسلامي فإنّه لا يحقّ لأحد أن يبدّعه أو يكفّره، وكأنّ هذا الانتساب مانع من موانـــع التـــبديع والتكفير، وبعضهم يرى أن ما هو معروض على السّاحة إنّما هي وجهات نظر، وكلٌّ له

دليلـــه، فـــلا ينبغي أن يدّعي أحدٌ مُلك الحقيقة وكأنّ هو الإسلام، فإذا قلت لهذا الرجل: هذا أمرٌ بدعي أو خطأ، قال لك: هذه وجهة نظرك، وليست هي أحكام الشّرع كما هي في نفسها، وبعيداً عن مناقشة هؤلاء القـــوم مـــن وجهة نظرٍ أصولية، إلا أنّ هذا الباب هو الذي فتح لكل مدَّع أن يتكلّم في دين الله تعالى كما يريد، حتّى لو أدّى الأمر به أن يفسر الإسلام تفسيراً كُفريّاً ظاهر الكفر والضلال، والأمثلة في هذا الأمر كثيرة، ولعلّ أصرخ مثال هو ما يفعله فهمي هويدي الكاتب المصري وبلديّه محمد عمارة، فإن هذا الثّاني يدعـــو إلى إحيـــاء فكر المعـــتزلة كما يصرّح، لكنّ الأطمّ عنده أنّه يحاول أن يفسّر الإسلام تفسيراً مادّياً تصل به إلى تفسير الشيوعيين والماركسيين.

ولعـــل مـــن شعور الهزيمة عند المسلم المعاصر أنّه بمجرّد أن يرى رجلاً يرفع شعار الإسلام فإنّه يواليه ويحبّه ويدافع عنه بغضّ النظر عن نوع هذا الإسلام الذي يدعو إليه، فمثلاً روجيه جارودي (رجا جارودي) فإن المحافل والجماعات الإسلامية لا تستنكف أبداً في دعوته ليحدثّهم عن الإسلام، أو ليتحدّث باســـم الإسلام، بالرّغم أنّ رجا جارودي هذا لم يُسلم أبداً لا في تصوّره للألوهيّة ولا في فهمه للشريعة، فهـــو دخل الإسلام على مذهب وحدة الوجود، إذ يصرّح في كتابه "وعود الإسلام" أنّه لا فرق بين الخالق والمخلوق، فهو آمن بالمذهب الصّوفي الغنوصي تحـــت شعار الإسلام، وعلى ذلك فهو لا يرى خطأ في النظرية الاشتراكية سوى أنّها ترتكز على قاعدة عقائدية باطلة، وليست هي خطأ في السّلوك والعمل، ولا أريد أن استطرد بالأمثلة فهي كثيرة جداً، وكلّها تدعونا إلى أن نبتعد عن ترديد الشعارات كالببّغاوات، لأنه للأســـف صـــار المسلم المعاصر أسيراً للشّعار من غير إدراكه للمضامين والمفاهيم، فبمجرد رفع شعار الإسلام ترى السذّج من المسلمين (التنظيمات والشيوخ والقواعد) تتحرّك نحو هذا الشّعار من غير فهمٍ ولا تمييـــز، ولعـــلّ تجـــربة المسلمين مع الطّغاة هي أكبر دليلٍ على ما نقول، فالسعوديّة ترفع شعار التّوحيد والعقيدة الصحيحة، وصدّام يرفع شعار "الله أكبر"، والقذّافي يرفع شعار الثورة الإسلامية، والخميني كذلك، وهكـــذا، وكـــلّها تحمل مضامين الشرك والكفر، فمتى يصحو المسلمون من غفلتهم؟ نرجو أن يكون ذلك قريبا.

عـــودة إلى راشد الغنوشي: لعلّ من التنبيه المتكرّر وغير الممل، هو أن الحكم على الرجل بأنّه سنّي أو بدعي هو في فهمه لتوحيديْ الشّرع والقدر، وبكونه أرائتيّاً أو سنّيّاً باتّباعه للسنّة والحديث، وفهم راشد لتوحيد القدر هو فهم منتكس باطل، ففي كتيّبه الذي يحمل عنوان: "القضاء والقدر عند ابن تيمية"، يصرّح الـــرجل أن فهم المعتزلة لتوحيد القدر هو الفهم الصحيح السليم، وأن ابن تيمـــية وقبله الحفيد ابن رشد ما هما إلا محاولات مستنيرة لإحياء فكر المعتزلة، الفكر الإنساني السّامق، في فهمه لتوحيد القدر، وقبل أن نغـــادر مـــن هـــذه النقطة فإنّه من المهمّ التنبيه إلى الأمر الآتي وهو أنّ عامّة الباحثين قديماً وحديثاً حين يدرسون عقائد المسلمين في مفهوم الحريّة (القضاء والقدر) فإنّهم يظنّون أنّه لا يوجد لأهل السنّة إلا قولٌ واحـــدٌ وهـــو مفهوم الأشاعرة للقضاء والقدر، والأشاعرة في الحقيقـــة هم جبرية في هذا الباب، إذ أنّهم

يقولون بمذهب الكسب، وهو يعني عندهم الاعتراف بوجـــود إرادة للحيوان في فعله وحركته، ولكن هذه الإرادة لا قيمـــة لها، وإنّما هي دليل على وجود الثّواب والعقاب الإلهي للإنسان، والاعتراف بوجود إرادة بشـــريّة لكنّها غير مؤثّرة هي التي جعلت هذا المذهب ظاهره الكسب وباطنه الجبر، وصار هذا المذهب علماً على عدم الفهم والوضوح حتى قال الشّاعر:

ممّا يـُقال ولا حـــقيـــقة عنـــده معقـــــولة تـــــدنو مـــن الأفهام

الكسب عنـــد الأشـــعري والحال عنـــد البهـــشمي وطفـــرة النظـــام

فحيـــن يظـــنّ الـــباحث أنّ مذهب أهل السنّة هو مذهب الأشاعرة (أي الكسب) وهو في الحقيقة عين مذهـــب الجـــبرية (الـــتي تنفي وجود إرادةٍ للإنسان من الأصل) فإنّه حين يقارن هذا المذهب (الأشاعرة) بمذهب المعتزلة، ومذهبهم في هذا الباب يقوم على إثبات إرادة للإنسان (وهذا حقّ) ولكنّهم ينفون الإرادة الإلهيـــة القـــدريّـــة ولا يـــرون إلا الإرادة الشرعية، وقد جمع الله الحقّين (الإرادتين) معاً في قوله: {وما تشاءون إلا أن يشاء الله}.

أقـــول حيـــن يقارن الباحث مذهب المعتزلة بمذهب الأشاعرة فإنّ العاقل ولا شكّ لابدّ أن ينحاز إلى مذهـــب المعـــتزلة، أقول هذا حين لا يكون للإنسان خيارٌ ثالث وهو خيار الحقّ، وهو إثبات إرادة بشريّة حقيقيّة ولكنّها مخلوقة لله، ولا تنشأ إلا بمشيئة الله تعالى وإرادته.

وراشـــد وقـــع في هذا الخيار الباطل: إما المعتزلة أو الأشاعرة. وهو ليس بأوّل باحث وقع في هذه القسمة الباطلة ولكن وقع فيها من تخصّص في هذا الباب أمثال الدكتور النشّار، والذي بقي طويلاً يظنّ أنّ مذهـــب القـــرآن والسنّة وبالتالي مذهب أهل السنّة يقوم على مذهب الجبر، حتى بيّن له أحد تلاميذه هذا الخطـــأ وهو الدكتور فاروق أحمد دسوقي، كما بيّن ذلك في كتابه الماتع "الحرية" وهو من أفضل ما كتب في هذا العصر من أبحاث جادة قيّمة.

ومن النماذج الواضحة التي وقعت بين الخيارات الباطلة ولم تعرف الحقّ هو محمّد بن محمّد الغزالي (أبـــو حـــامد المتوفي سنة ٥٠٥هـــ) صاحب كتاب الإحياء، وقد ذكر تجربته بين هذه الخيارات في كتابه الموســـوم: "المـــنقذ مـــن الضّلال"، فإنّه ذكر المذاهب التي عرضت عليه في مرحلة الشّك والبحث عن الحقيقـــة، فـــلم يذكر شيئاً عن مذهب الحقّ (أهل السنّة والجماعة) لكنه ظنّ أن المتكلمين (الأشاعرة) هم أصحاب هذا الخيار، فلم يكن معه إلاّ أن اختار الصّوفية كطريق يوصل الإنسان إلى الحقيقة.

إذاً راشد الغنوشي ليس سنيّاً ولا مهتدياً في باب توحيد القدر، بل هو بدعيّ العقيدة في هذا الباب. هذه واحدة.

تكلمـــنا عن راشد في فهمه لتوحيد القدر، وأنّه مبتدع في هذا الأمر، إذ أنّه على مذهب المعتزلة في هـــذا الـــباب، والآن إلى فهم الرجل في توحيد الشرع: لعلّ ملايين المسلمين في العالم سمعوا راشد وهو يقول لوكالات الأنباء أنّ قضيّة تحكيم الشريعة الإسلامية ليست في برنامجه، ولا في برنامج حزبه (حزب

النهضة)، حيث دلّل على هذا الأمر بقوله إنّ استبدال قانون بقانون ليس هو الذي يغيّر الأوضاع في داخل بلده المنكوب تونس، ومعنى كلامه بكلّ وضوح أن تحكيم الشريعة لا يغيّر الأوضاع المتردّية في تونس، بل هو معنيّ حسب قوله بنشر الحرّية وتأمين فرص العمل للعاطلين عنه. وقد يظنّ البعض أنّ راشد يقول هــذا الكــلام للاستهلاك الإعلامي، ولكن لو رجع الدّارس إلى القانون الأساسي لحركة النّهضة التونسية لوجــد أن الأمر هو اعتقاد صميم عند الرجل، فتحت فصل الأهداف يقول القانون: تناضل حركة النهضة من أجل الإسهام في تحقيق الأهداف التالية:

أ) المجال السياسي: ١ – دعم النظام الجمهوري وأسسه، وصيانة المجتمع المدني وتحقيق مبدأ سيادة الشــعب وتكــريس الشّورى. / ٢ – تحقيق الحريّة باعتبارها قيمة محوريّة تجسّد معنى تكريم الله للخلق وذلــك بدعم الحريات العامّة والفردية وحقوق الإنسان وتأكيد مبدأ استقلال القضاء وحياد الإدارة. / ٣– إقامة سياسة خارجية تنبني على عزّ البلاد ووحدتها، واستقلالها عن كلِّ نفوذٍ وفي كل المستويات، وإقامة العلاقــات الدوليــة، ومــن مــبادئ عدم الانحياز الإيجابي والاحترام المتبادل، وحقّ الشعوب في تقرير مصيرها والعدل والمساواة.

وهكذا يمضي القانون في ذكر أهدافه دون أدنى إشارة إلى قضيّة الإسلام الأولى وهي تحقيق عبوديّة ربّ العــالمين في الأرض، ودون أدنى إشارة إلى إسلامية هذا القانون من قريب أو بعيد. والمرء لو قرأ هــذا القانون وقانون أي حزب علماني آخر في الدول الديمقراطيّة الكافرة لما وجده يزيد عليه أو ينقص، فالقانون هو قانون علماني إلى مشاشه.

وقد يسأل سائل إلى أيّ حدٍّ يصل حكم هذا القانون؟ فنقول بكلّ اطمئنان أنّه قانونٌ كافر. إذ أنّ قوله: دعم النّظام الجمهوري وأسسه، وصيانة المجتمع المدني، وتحقيق مبدأ سيادة الشعب وتكريس الشّورى هو قولٌ كفري، فالنّظام الجمهوري يقوم على مبدأ سيادة الشعب كما هو معروف عند أهله، والسيادة كما هي معــرّفة عند أصحاب هذا النظام تعني: سلطةً عليا (لا سلطة فوقها) لها الحق في تقييم الأشياء والأفعال. وهذه السلطات هي: ١ – التشريعية. ٢ – القضائيّة. ٣ – التنفيذيّة.

فإعطاء الشعب السلطة التشريعية هو كفرٌ وردّة.

والآن إلى أيّ مــدى تصــل الديمقراطيّة في ذهن راشد الغنوشي؟ للإجابة على هذا السؤال لابدّ من قــراءةٍ واعيةٍ للكثير ممّا كتبه راشد الغنوشي، ومن أهمّ ما كتب في هذا الباب، هو كتابه "الحريّات العامّة فــي الدولة الإسلامية" وهو كتاب يعبِّر بحقّ عمّا يفكر به راشد الغنوشي، وفيه يتحدّث عن استقرار دولة الإسلام، وعن وصول الأماني إلى أهدافها:

١ – يجوز لمواطني الدّولة الإسلامية من غير المسلمين (يهود، نصارى، وثنيين، شيوعيين، ملاحدة) حــقّ تكويــن الأحــزاب، وهو بهذا يحتجّ بفتوى الشيخ مصطفى مشهور في حقّ النصارى الانتماء إلى الأحزاب الإسلامية أو تكوين أحزاب خاصّة بهم. وهكذا لم يشهد للبنت إلاّ أمُّها.

٢ – يجيــز لغير المسلم أن يدعو في الدولة الإسلامية إلى دينه وملّته، فيجوز للشيوعي أن يدعو إلى الشــيوعيّة والبعثي إلى بعثيته، والقوميّ إلى قوميّته، شريطة التزام الجميع بالآداب العامّة للحوار، ويقول محــتجّاً لذلك: إنّ إقرار أحدٍ على مذهبه يقتضي ضرورة الاعتراف له بحقّ الدّفاع عنه لإظهار محاسنه، ومســاوئ ما يخالفه، وذلك جوهر عمل كل داع. اهــ. بل هو كما ظاهر من اللفظ أنّه يجيز لهذا المشرك أن يظهر مساوئ الإسلام!!.

٣ – حكــم الردّة عن الإسلام هو حكمٌ لجريمة سياسيّة تتمثّل في الخروج عن نظام الدّولة، وبالتّالي يُترك للإمام معالجتها بما يناسبها من التعازير، وليست هي جريمة عقيديّة تدخل ضمن جرائم الحدود التي هي من حق الله.

وهكذا بهذه النقاط المعروضة، استكملت حلقة المشروع الديمقراطي بكلّ أبعاده العلمانيّة كما يطرحه أصحابه، لا كما تحاول الكثير من الجماعات البدعيّة تفسير الألفاظ بوجهة نظر إسلامية.

وأنا أعجب لراشد ولأمثاله الذين ملأوا الدّنيا صراخاً بوجوب تحقيق الإسلام السياسي ونادوا بشمولية الإســلام، فهــل هذا هو النظام السياسي الإسلامي بحقّ كما طبّقه السّلف، وهل الخلافة الراشدة الموعودة تقوم على مثل هذا الغثاء الفكري.

إنّ راشد وكلّ من لفّ لفّه هو علماني التأصيل في النظام السياسي، شاء أم أبى.

راشــد يصدر بياناً في الدّفاع عن الأحزاب الشيوعية الأردنية في حقّها في الاعتراف بعدما رفضت الحكومة الأردنيّة المرتدّة ترخيصها. ويدلّل على ذلك قائلاً: وفي كل الأحوال نحن ضحايا الدكتاتورية في تونــس، نرجو من كلّ قلوبنا أن تنجح الديمقراطية الأردنية في مواجهة التحدّي الصهيوني، وهو التحدي الأعظــم الــذي لا يمكن مواجهته، وكذا سائر التحديات الكبرى المطروحة على أوطاننا إلا بصف وطني موحّد لا مجال فيه لاحتكار السلطة، ولا لاحتكار الثّروة، ولا للفرز والإقصاء لأيّ فصيل وطني مهما كان اتّجاهــه الفكري طالما قبل مبدأ التعايش على أساس الحوار والتضامن الوطني، والاحتكام لإرادة الشّعب، وذلك مقتضى من مقتضيات مبدأ الإسلام العظيم {لا إكراه في الدين قد تبيّن الرّشد من الغيّ}.اهــ.

إذا فهمــنا هــذا الأمــر نســتطيع أن نّفهم أحكام راشد الغنوشي على الدول والأشخاص، فهل راشد الغنوشي يوالي ويعادي على أساس الإسلام أم على أساس الديمقراطيّة؟ وهل الانحطاط والتقدم عند راشد الغنوشي مناطه الإيمان أو الديمقراطية؟ لنقرأ هذه الفقرات:

١ – فــي مقدّمة كتابه المذكور سابقاً: يهدي راشد كتابه إلى: آبائه الروحيين، وعلى رأسهم (حسب قوله) الشّهيد حسن البنّا، ومولانا أبو الأعلى المودودي، والشّهيد سيّد قطب، وأستاذنا مالك بن نبي، وإلى المجدد القائد الشيخ حسن الترابي، وإلى قائد الثورة الإسلاميّة المعاصرة الإمام الخميني، والشهيد العلامة الصدر، والشهيد علي شريعتي... وتتوالى القائمة العجيبة.

ثمّ يقول: "وإلى مساجين الرأي والحريّة من كلّ ملّة، وفي كل صقع، المكافحين ضدّ الطُّغيان المحلّي والدولي، وعلى رأسهم السيّد غنزالو رئيس جماعة الدّرب المضيء المكافح ضد رموز الطّغمة العسكريّة في البيرو".

٢ – في كتابه (المقالات): في مقالٍ تحت عنوان: قادة الحركة الإسلامية المعاصرة: البنا، المودودي، الخميني، وهكذا يجعل الخميني داخلاً في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنّ الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها))، وهو الحديث الذي صدّر فيه مقاله مادحاً فيه هذا الطّاغية اللعين (الخميني).

٣ – في حديثه عن الطّرق للوصول إلى رئاسة الدولة يذكر في كتابه "الحريّات العامّة" طريق الاستخلاف (ولاية العهد) يعقّب راشد على هذه الطريق قائلاً: "ويشعر المرء بالقرف من استمرار هذا العفن قائماً في تراثنا الديني وفكرنا السياسي، ويضع يده مباشرة على هذه الألغام التي قوّضت حضارة الإسلام وأسلمتنا إلى الانحطاط، إنّه من غير ثورة شاملة تطيح بهذه السموم التي لا تزال تجري في دماء الأمّة وتشلّ طاقتها وتجهض انتفاضتها، وتحبط أحلام نهضتها، فلا أمل في انطلاقة متينة قويّة قاصدة منتجة الحضارة من جديد في أمّتنا". ص١٦٢.

ويقول: "فويل لتاريخ الازدهار من ليالي الانحطاط، هل نحن أهل لوراثة الخلافة الراشدة ونحن نلقي عليها بمزابل انحطاطنا؟". نفس الصفحة.

٤ – يقول عن معاوية رضي الله عنه: "الوالي المنشق معاوية بن أبي سفيان، وقد غلبت عليه – غفر الله له – شهوة الملك وعصبيّة القبيلة، فلم يكتف بأن انتزع الأمر من أهله بل ومضى في الغيّ!! لا يلوي على شيءٍ حتّى صمّم على توريثه كما يورّث المتاع لابنه وعشيرته، فجمع في قصّته المشهورة ثلّة من المرشّحين للخلافة من الجيل الثّاني من الصحابة، وأمام ملأ من النّاس قام أحد أعوانه يخطب بصفاقة... وحينئذ بدأ مسلسل الشّر والفساد، مكرّساً الدكتاتوريّة والوصاية والعصمة، مقصياً الأمّة عن حقّها، مبدّداً طاقتها في جدلٍ عقيم حول الخلافة والاستخلاف".

وأنا هنا لا أريد أن أناقش المسألة فقهيّاً ولكنّ قصدي أن أعرض الأسلوب الذي ينتهجه الغنوشي في عرضه للقضيّة، هكذا يوالي راشد، وهكذا يعادي، ومبدأ الحبّ والكُره عنده هو الديمقراطية والدكتاتوريّة. هكذا تحدّث راشد عن مجدد القرن الخميني، وهكذا تحدّث عن الصحابي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، بل لم يبق إلا راشدٌ سليماً من عصر الانحطاط، حتى الغزالي وابن تيمية وابن رشد وابن خلدون وابن حزم لم يسلموا من تأثير الروح السائدة في عصرهم، بل هذه الروح السائدة كثيراً ما احتوت واستوعبت وأجهضت القسم الأكبر من محاولاتهم التجديدية. ويقصد بالروح السائدة روح الانحطاط التي تثير في نفس الأستاذ راشد القرف، وأنّها روح لا تلقي علينا إلاّ المزابل – حسب تعبيره –.

فهنيـــئاً لراشـــد بآبائه الروحيين أمثال: الخميني، وحسن الترابي، والشهيد العلامة محمد باقر الصدر وربما يكون موسى الصدر والشهيد علي شريعتي. وويل لأمّةٍ القائد فيها أمثال راشد الغنوشي، وويلٌ لها كذلك إن لم تكن تعرف أن هؤلاء من أئمّة الإجرام والضّلال في هذا العصر.

كمال الهلباوي

كمال الهلباوي – إخواني – كذّابٌ أشِر لو حلف رجل بين الرّكن والمقام أنّه لا يعرف أكذب من من كمال الهلباوي ما أظنّه يحنث إن شاء الله تعالى.

لم أذكر الهلباوي بصفته رجلاً مفكّرا، أو أن ما يقوله ويكتبه ينبغي أن يُنظر إليه كفكرٍ يستحق النظر والبحث، فكمال الهلباوي أحقر مـــن هذه المرتبة، وهو أجهل من أن يعامَل معامَلة العقلاء الباحثين، فليس في كتبه ومقالاته سوى رصف الحروف بغباء لا يلحقه فيه أحد، وهو معلوم لدى القاصي والداني أنّه من الإخوان المسلمين، بل هـــو إخواني محترق، وحديثنا عن الإخوان المسلمين باعتبارها جماعة سيكون فيما يـــأتي من الحلقات، ولكـــنّي أخـــصّ هذا الدجّال بالذكر هنا قياماً بأمانة البلاغ في تحذير الناس من أمثال هؤلاء المرجفين، ووالله إنّي لأشعر بالإشفاق على أمّة محمّد صلى الله عليه وسلّم أن تجبر على الاستماع لأمـــثال هـــذا الـــرجل، أو أن يوسّـــد له شيء من الأمر، وأنا أقول هذا الكلام وأنا أحسّ بواجب القول والـــتحذير، إذ أنّ تحذيـــر المسلمين من قطّاع الطريق واللصوص أمر واجب، ومن لم يفهمه فليرجع إلى كـــتب الســـلف الصّالح وعباراتهم في تقييم الرجال، ولذلك لا يأتيني نصف عاقلٍ ليقول: أهذا هو البحث العلمي؟ أو: أهكذا تعالج الأفكار؟ فالجواب: البحث العلمي ومعالجة الأفكار تكون لمن ملك شيئاً من العلم، أو لمـــن عنده شيء من الفكر، وأمّا أمثال هذا الرقيع، الذي لا يقر قراره ولا يهدأ حاله، كدويبة الأرض، ســـائر فـــي كلّ وادٍ، لا يحمل إلاّ الحقد على المجاهدين، وليس له من همٍّ إلاّ تلفيق التهم، وتأليف البهت عـــليهم، فمـــاذا نقول عنه؟ وهل أمانة التبليغ التي أُمر بها العبد تجيز لنا أن نسمّي الأمور بغير أسمائها؟ وهـــل إذا ذكـــر نـــوح بن أبي مريم (وهو من أئمّة الكذب في الرواة) أو لوط بن مخنف يجوز لأحدٍ من المســـلمين أن يذكره بخير، وأن يسمّي كذبهما فنّاً وذكاءً؟ وهل قول الشافعي في كثير بن عبد الله المزني: أنّه ركنٌ من أركان الكذب؟ وهل قول ابن حبان في محمد بن السائب الكلبي: "ووضوح الكذب منه أظهر مـــن أن يحتاج إلى الإغراق في أوصافه"؟ وهل قول ابن معين في محمّد بن معاوية الخرساني: "كذّاب"؟ هل أقوالهم هذه هي ضدّ العلمية والموضوعية؟ لا والله بل هم الذين علَّموا الدّنيا تسمية الأشياء بأسمائها.

وكمـــال الهلـــباوي: مرجِف كذَّاب أشِر. هذا الرجل وتاريخه فيه من البلاء والمصائب ما يدعوك أن تسأل الله الستر والعافية، هذا الرجل ما أن يجلس في مجلس حتّى يجابهك بقيح غثائيّته، وصديد حقده على المجاهدين، فقد طوّف في البلاد منادياً أنّ الشباب العرب الذي استجاب لنداء الواجب بالجهاد في أفغانستان هو شباب مقسوم إلى قسين:

١ – القســـم الأوّل: هم الشّباب الفاشل في حياته أو دراسته، فهرب إلى الجهاد من فشله وجهله، ومن مواجهة الحياة بحثاً عن الموت.

٢- القســم الــثاني: شــباب باحث عن غنائم النساء (الإماء والسبايا) فحادي الجنس هو الذي دفعهم للذهاب إلى أفغانستان.

أرجــلٌ يقــول هذا الكلام، الذي لا يستطيع أن يقوله زبانية الكفر في هذا العصر عن المجاهدين ثم يطلب من الناس أن يحترموه ؟.

الشــباب الذي ذهب إلى أفغانستان، لقد علم كلّ من عاشرهم، ومن شهد شيئاً من مواقعهم، علم تمام العــلم أنّهــم مــن خيرة الخلق في هذا الزّمان، فهم الرجال الذي كان الواحد منهم يتهيّأ للموت كما يتهيّأ العروس، هؤلاء الشّباب الذين علّموا الدنيا الشّجاعة والإقدام، وحبّ الشهادة، يأتي مثل هذا الفويسق ليقول عنهم هذا، ألا حسيبك الله.

أمّا قوله عن الشباب المسلم الذاهب إلى أفغانستان أنّهم فاشلون في دراستهم وحياتهم فوالله ثمّ والله إنّه لكاذب دجّال، ولولا مخافة الإطالة لذكرت لهذا الرقيع أسماء المبرزين منهم في الدراسة والتحصيل، بل لو أردنا أن نذكر مثالب ما حصل على أرض الجهاد وما حولها لكان لطائفته الذين هم من قومه ما ينبغي أن يعدّ ويشهر.

ثــم يقــال لــه: وهل التّحصيل الدراسي هو ميزان الذكاء والعبقريّة؟ ثمّ هل التحصيل الأكاديمي من الجامعات المعاصرة هو ممّا يدخل في ميزان الحكم على الأشخاص؟ وهل شهادات الماجيستير والدكتوراه الــتي تُشترى من بعض البلاد، ومنها البلد التي تحصّلت منها شهادة الدّكتوراه (ولا ندري كم دفعت ثمناً لها؟) هي علامة جرحٍ أم علامة مدح؟.

أمّــا حقد الهلباوي على المجاهدين عموماً وعلى الجهاد الجزائري خصوصاً فصار معلوماً مشهوراً، فقــد حــدّث الــثقة أنّه حضر له مجلساً في بيته وقد ذُكر الأخ أبو عبد الله أحمد أمير الجماعة الإسلاميّة المسلحة – رحمه الله – الذي أفضى إلى ربّه مقاتلاً في سبيله، ونرجو من الله تعالى أن يتقبّله من الشهداء، فعــندما ذكر هذا الفحل الأشمّ ما كان من صبيّ المحافل إلا أن قال: "انظروا كيف أخزاه الله؟!!"، أي أنّ مــوت أبي عبد الله أحمد هو خزيٌ ومهانة، ألا قطع الله لسانك أيّها الفاجر، وعاملك الله بما تستحق. هذا الــرقيع يشــيع عن المجاهدين – في الجزائر – الفاحشة ويتّهمهم بأشدّ البهت، وهو يردّد حديث عدو الله محفــوظ نحناح، وبعض الناس ممّن جهل حال الهلباوي يستمع لحديثه عن المجاهدين سواء في أفغانستان أو الجزائــر لظنّهم أنّه قريب الصّلة بهم، وهو يتعالم بأنّه قريب الصّلة بالجهاد الأفغاني لوجوده قريباً منه فــي إسلام آباد، لكن اسألوا هذا الأفّاك: هل حضر مشهداً من مشاهد المجاهدين؟. أو هل حضر شيئاً من مواقفهم ليشهد عليهم؟. أم أنّه كان وجوده هناك ووجود بعض الشخصيات الإخوانية الأخرى للمزايدة على الشيخ عبدالله عزّام؟ ولإضعاف صلة شباب الإخوان المسلمين به هناك؟. وقد نجحوا.

كمال الهلباوي يشيع عن المجاهدين في الجزائر أنّهم: يقتلون الأبرياء، ويسرقون المدنيين، وينكحون بعقد المتعة، ويحاربون العلماء والشيوخ، وهو يستخدم صوته بنسبته للإسلاميين ولا ينسى أن يهزّ شعرات الحكمة التي نبتت وشابت في أماكن (...) اللهم الستر والعافية.

الجهـــاد الإسلامي المجيد على أرض الجزائر المسلمة أكبر منك أيها الرويبضة، وأكبر ممّن هم على شـــاكلتك، وتفســـيراتك لأحداث الحياة هي تفسيراتٌ جاهلية، فما زال الناس يذكرون التحليل المجيد الذي أصـــدرته مجلتك العتيدة "قضايا دوليّة" في تحليليها لضرب الجماعة الإسلامية في مصر للسيّاح الأجانب هناك، حيث زعمَت مجلّتك بتحليلها الفذّ أن المجاهدين يخدمون الاقتصاد الإسرائيلي، لأنّ ضرب السياحة في مصر، سيصرف السيّاح الأجانب للإعراض عن الذهاب إلى مصر، وبالتالي سيتوجّهون إلى فلسطين.

هكذا تقوم التحاليل الفذّة لرجل يزعم الانتساب للإسلاميين، ولعلّك غداً ستجعل منع الإخوة المجاهدين من تصدير العنب الجزائري لمعامل الخمر في فرنسا هو خطّة يهودية للقضاء على الاقتصاد الجزائري؟!. نعم هكذا هو تحليل مسلمي آخر زمن، وهكذا يصبح دين الله تعالى نهبةً يتكلم فيه النّوكى من أمثال كمال الهلباوي.

نعـــم كمـــال الهلباوي: مرجف كذّاب أشِر، وما كتبت هذا إلاّ وأنا أشعر الخوف من الله أن لا أكشف سِتره ولا أفضح أمره ليعرف الناس حقيقة أمثال هؤلاء القوم.

وفـــي الـــنّهاية أكرّر: لا يأتيني نصف عاقل ليقول أنّ ما كتبته يناقض العلمية والموضوعية، فأنا لا أنـــاقش الهلباوي في شيء من علمه، فهو ممّن خُلق لغير هذا، وإنّما أنا أبيّن أمره للنّاس ليتّقوه، والسّكوت عنه وعن أمثاله هو الجريمة التي يسأل عنها أهلها يوم القيامة. والله الموفق.

مسكينة هي الجزائر، ومساكين أهلها.

عــندما كانت الجزائر في قبضة الكفر من كلِّ جانب، وكان اللعين هوّاري بومدين يسوم أهلها سوء العــذاب، بل لمّا كانت تحت وطأة التغريب، والدخول في نفق الفرانكفونية، لم يبك لها أحد، ولم يدافع عن أهلها أحد. فأين هولاء الناصحون لأهلها سوء النصائح الآن. أين كانوا؟.

أين كان محمّد الغزالي الشّيخ المصري المعمّم؟. وأين كان يوسف القرضاوي فقيه الحركة الإسلامية الأمّ؟. وأين كان هذا البوطيّ؟.

نعم جاء البوطي ومحمد الغزالي إلى الجزائر بطلبٍ من حكومة الشاذلي بن جديد ليقيما كلية الشريعة في جامعة قسنطينة، واستفاق الشعب الجزائري المغرّب على أصوات مشايخ يتكلّمون باسم الإسلام، ومع اسم الإسلام يشيدون بأسماء قادتهم المرتدّين.

فالجزائــريون ما زالوا يذكرون محمّد الغزالي وهو يقول عن ابن جديد: "ما رأيت مؤمناً مثله، وما رأيت أحداً خدم الإسلام مثله".

وقال: "حينما أجلس معه أجد راحة نفسية".

والبوطي يقول: "إنّ الذي آتى إبراهيم رشده، قد آتى الشاذلي رشده".

وأَحَــبّ الشّــعب المسلم في الجزائر هؤلاء الشّيوخ لأنّهم يتكلّمون باسم الإسلام، ورصيد الإسلام في قــلوبهم ما زال حاضراً، ولم يكن لدى الجزائريين تلك الخطوط الدقيقة في معرفة ألوان هؤلاء المشايخ، ولا اتّجاهاتهم، بل يكفي أن يتحدّثوا باسم الإسلام ليحبّهم الناس.

والآن تفــتقت ذهنيّة الكفر عن طريقة قديمة جديدة، وهو الإتيان بهؤلاء الشيوخ ليتحدّثوا عن الواقع الجزائري، وليقِفوا في صفّ الحكومة ضدَّ المجاهدين.

وكــان ما كان من أمر البوطي، حيث سمعه الناس وهو ينصح الجزائريين بوضع السلاح والاحتكام إلى علماء الأمّة (وهو قطعاً يقصد نفسه)، ولكن في نقاشنا عن البوطي، وعن فهمه لدين الله تعالى، وكيف يتعامل مع الشرع؟ لا بدّ أن نوضّح أمراً في حقّ البوطي ومَن هم على شاكلته قبل هذا الأمر، هذا الأمر هــو: إنّ عامّــة هــؤلاء المشايخ لا يملكون من أمرهم شيئاً، وهم بحقّ وصدق أدواتٌ في يد الحكومات المــرتدّة، تستخدمهم لتنفيذ مشاريعها على الشّعوب، لأنّهم قبل أن يكونوا مشايخ علم هم موظّفون وجنود عــند هذه الحكومات، تستخدمهم كما تســتخدم غيرهم، ومن هنا فإنّ ما يقولونه سواء قالوه عن اعتقاد أو عــن عــدم اعــتقاد فهو لا يمثّل الإســلام في شيء، لأن مِن شرط المتحدّث عن الإسلام أن يعلَمَ النّاس

استقلاليته، وهي التي لا يمكن للمرء أن يكوّنها إلا بشجاعة وقدرة على تحمُّل تبعات هذه الاستقلالية، فهم مساجين للحكومات، وقد روّضتهم هذه الحكومات على الطّاعة المطلقة لها.

وأمــرٌ آخر: هل يملك البوطي وغيره، بل هل يملك جميع علماء ومشايخ الأمّة في هذا الوقت القدرة عــلى تنفيذ ما يقولون؟. فهذا البوطي مثلاً خرج على التلفزيون في سوريا أيّام الانتخابات الرئاسية يدعو بكــلّ جــدارة كرجل يمثِّل رئيس الحملة الانتخابيّة للرّئيس الملعون حافظ الأسد، يدعو أن ينتخب الشّعب الســوري الــرّجل الــذي خدم الإسلام في سوريّا ما لم يخدمه أحدٌ من قبل، والرجل الذي بُنيت في عهده المســاجد أكــثر ممّــا بنيت من صدر الإسلام إلى يوم دخوله الميمون على البلد المنكوب: سوريا. ولو افترضــنا جــدلاً (وأكرّر جدلاً بل جدلاً ممقوتاً) أنّ هذا الشيخ النّاصح رأى، ويحقّ له أن يرى، أنّ على الــرئيس حــافظ الأســد أن يستقيل مثلاً – وأكرّر مثلاً – والسبب هو ليفتح لجيل الشباب المتنوّر الجديد فرصة خدمة سوريّا – وليسامحني القارئ، فأنا الآن سمحت لنفسي بالحلم مستيقظاً – فهل سيُسمح للشّيخ ولطلعته البهيّة أن تطلّ على التلفزيون؟.

ثــمّ عندما يتحدث هذا الشّيخ عن الوضع في الجزائر، يملك فيما يعتقد هو أنّه يملك كلمةً مقبولة عند الحكومــة الجزائــرية؟ بمعنى لو طلب منها برنامجاً ما، ولنفرض أن تُطلق سراح الشيخين عباس مدني وعــلي بــن حاج، فهل هو رجلٌ لهذا الطلب؟ وهل يستطيع أن ينفّذ برنامجه هناك في سوريا، وهنا في الجزائر.

لعــلّي أطــلت عــلى القارئ: ولكن قصدي من هذا هو أن أقول لك أخي المجاهد إنّ هؤلاء القوم لا يحترمون أنفسهم، والحكومات المرتدّة تحتقر أكثر ما تحتقر هؤلاء المشايخ، ووالله الذي لا يُحلف إلاّ به، أن الرّئيس الملعون حافظ الأسد لا يحتقر أحداً من المشايخ في الدنيا كما يحتقر المشايخ الذين ينافقون له، ويكذِبون له.

رئيسٌ مثل حافظ الأسد يعلم من نفسه علم اليقين أنّه من أعداء ملّة الإسلام، وأنّ بغضه للإسلام وأهله جرى فيه من دم الأجداد والآباء، ويأتي له شيخٌ منافقٌ مثل البوطي ليقول عنه إنّه من حماة الإسلام ومن حرّاس عقيدة الإيمان، فماذا يمكن أن يقول عنه؟.

الجــواب يعرفه البوطي ولابد. هل فكّر هؤلاء المشايخ بهذا الأمر؟. لماذا مشايخ المسلمين الآن من أمثال البوطي المنحرف، والغزالي والقرضاوي وغيرهم لا يحترمون أنفسهم؟.

لماذا هذا الشيخ أبو بكر الجزائري المتجنس سعوديّاً، وأمثاله يقبلون من أنفسهم أن يكونوا أحذية في أرجل الطواغيت يستخدمونهم كما يشاءون؟.

أهكــذا كُــتب عــلى الشباب المسلم اليوم أن لا يرى أحداً من المشايخ المشهورين أو المعروفين إلاّ موظَّفاً حكوميّاً في طائفةٍ مرتدَّة؟.

أهكذا كُتب على الشباب المسلم أن لا يدافع عنه أحد من هؤلاء المشايخ عندما يكون تحت سياط جلاّد حكومته؟.

ولا يدافع عنه أحد عندما ينتهك عرضه؟.

ولا يدافع عنه أحد عندها يعلّق كالذبيحة في مراكز أمنهم وعدلهم؟.

ثـــم إذا قام لينتصر لعرضه ولدينه ولدمه، يقوم هؤلاء المشايخ – قبّحهم الله – بالمدافعة عن الظّالم، وتبرير أفعاله، والضّرب على يد خصمه.

أهذا هو دين الإسلام حقّاً؟.

إنّ الله قد كتب الميثاق على العالم أن يكون مع العدل ضدّ الظلم، ومع الحقِّ ضدَّ الباطل، ومع الإسلام ضدَّ الكفر.

فما بال هؤلاء القبيحة وجوههم، النّخرة عمائمهم وقفوا مع الظّلم ضدّ العدل، ومع الباطل ضد الحق، ومع المرتدّين ضدّ المسلمين؟.

أيُّهـــا البشـــر جميعاً، يا عالَم بما فيك من جاهلٍ وأحمق وفهيم وذكي، بالله عليكم: هل يوجد عالم من عـــلماء المســـلمين قال يوماً لعمر بن عبد العزيز أو قال يوماً لألب أرسلان أو لمحمّد الفاتح: إنّني حين أجـــلس معـــه أجد راحة نفسية؟!. أو أنه جعله بمرتبة إبراهيم عليه السلام في الرشد؟!. نعم: يقولون عن الشاذلي بن جديد هذا الكلام.

وحضـــرة الشيخ البوطي يتكلّم في شريطٍ له أنّ عبّاسي مدني لا يصلح للحكم الإسلامي لأنّه لا يمتلك أدوات الاجتهاد. سبحان الله. الشاذلي راشد، وعباسي مدني لا يملك أدوات الاجتهاد!. أليس هذا ممّا يطيّر الرشد من الرأس؟.

نعم نحن شباب متهوّر، ونحن عندنا غلوّ، ونحن لا نحترم المشايخ، ونحن.... لكن أنتم أيّها العقلاء، أنتم يا أصحاب الحكمة، أنتم يا أصحاب لا إفراط ولا تفريط، أنتم يا من ملكتم الحقيقة وحدكم.... قولوا لنا وبرّروا لنا هذه القسمة الضيزى. أوّلوها لنا ولو على مذهب الإسماعيليين الباطني لنفهمها.

بقيـــت كـــلمة أخيـــرة في حقّ هذا البوطي – عليه من الله ما يستحق – وأمثاله من المشايخ وهي: لنفـــترض أنّ الشـــباب المســـلم في الجزائر وضع السلاح – وأعيذهم بالله من ذلك – ونزلوا من الجبال، وســـلّموا أسلحتهم للدولة، وجاءوا يطلبون المغفرة من الحكومة لتعفو عنهم، (نعم هكذا يطلب سيادة الشيخ الـــبوطي، وفضـــيلة السّـــلفي المتجنس سعوديّاً أبو بكر الجزائري، وفقيه الحركة الإسلاميّة الأم: يوسف القرضاوي).

فهـــل عـــند هـــؤلاء الشيوخ ضمانٌ بأنّ الشباب ســـتتلقّاهم الحكومة بالأحضان، وستأخذهم بالحبّ، وستغفر لهم ذنبهم.

أمّـــا إن قلـــتم نعم فقد كذّبتم القرآن، لأنّ هذه الحكومات حكومات كفرٍ وردَّة وعمالة، وهي حكومات نجســـة تـــنقم على الناس طهرهم وعفافهم كما نقم قوم لوط على لوطٍ عليه السلام ومن آمن منهم بقولهم {أخـــرجوا آل لوطٍ من قريتكم إنهم أناس يتطهرون}. ولأنّهم من أعمال اليهود والنصارى، والقرآن يقول: {ولـــن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملّتهم}. نعم إن قلتم نعم فقد كذّبتم القرآن، بل وواقعكم يكـــذِّب ما تقولون: حينها سيستنجد الشّباب بكم لتنصروه، فستقولون كما قال إخوانكم في أرض الجزيرة: هذا وليّ الأمر، ووليّ الأمر أدرى بالمصلحة.

أقولهـــا لكم أيها الشيوخ – عملاء الدّول المرتدّة – الشّباب المجاهد على أرض الجزائر وكل أرض الإســـلام لا ينافسكم على وظيفة وراتب، بل لو دُعي إليها فلن يقبلها، وهو لا ينافسكم أيّها المفسدون على حضـــور الدروس الحسنية في المغرب ليأخذ كما تأخذون ثلاثة آلاف دولار لبركة حضوركم، هذا المال الذي يُؤخذ من جيوب الفقراء والمساكين، الذين لا يجدون لقمة الخبر ليفطروا عليها في رمضان، وهو لا ينافســـكم لحضور مؤتمرات الدّجل والكذب، نعم هو لا ينافسكم في شيء ممّا جنيتموه زقُّوما وسحتاً، بل نكِلُكم إلى علاّم الغيوب يوم تُعرضون عليه فلا تخفى منكم خافية، فهلاّ تركتموه؟. فإن انتصر فهو الإسلام الحق، وإن قُتل فقد عوفيتم من ذنب دمه، أم أنّكم تريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبينا؟.

والآن:– هـــل أخطـــأ الشـــيخ البوطي فيما تقدّم قوله عنه وعن أمثاله خطأ شاذّا في مسيرته العلمية والدعوية؟ أم أنّه جرى على سننه؟.

لو أردنا أن نجمع المتفرّقات التي كتبها البوطي لنصنع منها عمودا لصورته، يستطيع النّاظر إليها أن يتبيّن آلية أقواله، وأصول أحكامه، لخرجنا بالنتائج التالية:

١ – العداء المستحكم لأئمّة السّلف رحمهم الله تعالى، فالبوطيّ عدوّ أئمّة التجديد الأثري في تاريخنا، وعـــداء هذا الرجل لابن تيمية ولتلـــميذه ابن القيم لا يمكن للباحث أن يمرّ عليه دون انتباه وتوقُّف و هو مع عدائه لأئمّة السّلف يقِف موقِف المُدافع عن أئمّة البِدعة والضّلال (أخي القارئ راجع باهتمام ما كتبه عبد القادر حامد في مجلّة البيان، الأعداد ٣٤–٤٠، فقد أجاد الأخ الكاتب فيها وأفاد، فجزاه الله خيراً).

٢ – تعـــالمٌ غثّ، وزهوٌّ ممجوج، فقلّما تمرّ له على كتاب إلا ويدفع لك عباراتٍ يخجل المرء من أن تمـــرّ بخيالـــــه بلـــه أن يكتـــبها بقـــلمه عـــن نفســـه، فهـــو الكاتب، والكاتب فقط "أبحاث في القمّة". وهـــو الواضـــع لـــلموازين الفقهيّة التي لا مجال لرفضها (الجهاد ص١٤). وهو الذي قلّما ينقل عبارات الفقهـــــاء كمـــا هـــي دون تصرّف مخلٍّ حسب فهمه، أو بعبارة أصحّ حسب تزويره وتلاعبه، وهو قيّم "السبيل الوحيدة في زحمة الأحداث" (كتيّب له، طبع مؤسّسة الرسالة)، حتى الصحفيين والدبلوماسيين الذين يقابلونه لابدّ من ذكر صفات التّفخيم لهم، فهو لا يقابل إلاّ الكبراء (كتاب الجهاد ص١٦٢).

٣ – شـــغفٌ (لا ندري طبعي أم نفاقي) بالرئيس الكافر حافظ الأسد، فليس هناك من مناسبة أو غير مناســـبة إلاّ ويشيد بالرجل الفذّ، المسلم التّقي، المؤمن الصادق – حافظ الأسد –، وقد تطوّع الشيخ حسبة

ليجمع النّاس في صعيدٍ واحدٍ ليقولوا: نعم لسيادة الرئيس في الحملة الانتخابيّة لرئاسة البلد المنكوب به: سوريا. [أنظر مجلة السنة عدد ١٨-١٩، ومجلّة البيان عدد ٤٠، وكتابه "الجهاد" ص٢٤٢، وحلقاته التلفزيونيّة، قلّما تمرّ من غير إشادة بصنيع هذا النّصيري البعثي الكافر. ولا زال أهل سوريا يتذكّرون بألمٍ تلك الكلمات الكافرة التي قالها البوطي لحافظ الأسد عندما مات (نفق) ابنه اللعين باسل الذي يحلو للكثير من السوريين وغيرهم أن يسمّوه "فارس الدعارة".

قلت، ما زال الناس يتذكرون كلمته الكافرة وهو يقول عن باسل، ابن حافظ الأسد: "سيّدي رئيس الجمهورية، ألا يُرضيك أن يكون لباسل جناحان يطير بهما في الجنة".

نعم هذا هو ورع مشايخ آخر زمن. ألا لعنة الله على الظالمين.

هذه أركان عمود الصورة لهذا الشيخ (الدّعي)، والذي يحاول جاهداً أن يحشر نفسه في زمرة الفقهاء، فيتحدّث بلُغَتهم، أو يلوي لسانه بعباراتهم، ومع هذا فإنّنا نحذّر من كتابات هذا البوطي، لأنّه ليس أمينا في النّقل، ويكذب على الفقهاء، فيقوّلهم ما لم يقولوا، ويفسّر عباراتهم بتأويلات لا تصحّ لتخدم مراده في الوصول إلى الفكرة التي يريدها، وما يهمّنا في موضوع الجهاد وواقعه، وما يهمّنا في كشف تزويراته في باب إسباغ الشّرعيّة على الواقع البئيس، ورمْي الموحّدين بالنّقائص والمثالب، فإنّني سأقتصر في هذا الأمر على بيان أكاذيب الشيخ على الفقهاء، كما فعل في كتابه السّيء الذّكر "الجهاد في الإسلام، كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟".

أباطيل البوطي وأكاذيبه على الفقهاء:

١ - بذل البوطي جهداً أظنّه كبيراً - إذا قورن بمستواه العقلي والعِلمي - في إثبات أنّ علّة القتال في الإسلام هي الحرابة وليس الكفر، وهو ينصر قول الجمهور على رأي الشّافعيّة والظّاهريّة، وإلى هنا فلا غبار (إلاّ غبار التّعالم الغثّ حينما وصف فقهاء الشافعيّة بالاضطراب والحيرة). وأتمنّى لو أنّ الله أطال بعمر الشّافعي حتى يسمع حجج البوطي فيغيِّر رأيه في المسألة!!.

ووصف الظاهريّة بأقذع عبارة فقال: "وأمّا ابن حزم وأصحابه من الظاهرية، فإنّ شأنهم من الجمود العنادي (لا تسألني عن معناها، فصدقاً لا أعرف) عند ظواهر ما يروق لهم من النصوص في الأحكام الشرعيّة (آخر روقان) كشأن الخوارج (حسبنا الله ونعم الوكيل) من جمودهم العنادي عندما يروق لهم من النصوص في المبادئ الاعتقاديّة (ص١٠٧). (كان الله في عون القرّاء في تحمّل هذه الغثائيّة).

نقول أن ينصر رأيا على آخر فهذا لا غبار عليه، لكنّه تابع مفسِّراً معنى الحرابة في لغة الفقهاء قائلاً: "معنى الحرابة، ظهور قصد العدوان" (ص١٠٧) ثمّ قال (ص١١٠): "ظهور قصد العدوان من خلال أدلّةٍ واضحة". ولم يسق الفقيه دليلاً واحداً لما قال.

وقصد البوطي من ذلك أن يخبرنا (رغم أنوفنا) أنّ الجمهور لا يقولون بالقتال الهجومي (وهو الذي يسمّى بجهاد الطّلب)، وإنّما القتال المشروع عندهم (أي الجمهور) هو القتال الدفاعي عند ظهور العدوان أو قصده.

ونُعيد ونكرّر أنّ للبوطي الحق أن يقول ما يشاء، أما أن يكذب على الفقهاء، ويفسِّر عباراتهم كما يريد فهذا اسمه (فيما أعلم) كذبٌ وتزوير. لأن الحرابة في لغة الفقهاء تعني وجود المرء الكافر المشرك في دار الحرب، أو دخوله دار الإسلام بغير عهد ولا أمان.

ودار الحرب هي دار الكفر التي لا يوجد بينها وبين دار الإسلام عهدٌ وميثاق، والإجماع منعقد على أن الكافر مباحُ الدّم والمال على كل حال ما لم يؤمّن من المسلمين. فهذه هي الحرابة التي تجيز للمسلم قتل الكافر وقتاله، إذ لا خلاف بين العلماء في هذا القدر من الحديث. قال الجصّاص الحنفي في أحكام القرآن مجـ٣ ص١٩١: وجائزٌ للمسلمين ترك قتال من لا يقاتلهم من الكفّار.. ولا نعلم أحداً من الفقهاء يحظر قتال من اعتزل قتالنا من المشركين، وإنّما الخلاف في جواز ترك قتالهم، لا في حظره. اهـ.

فهذا حنفيٌّ لا يعلم أحداً من الفقهاء حظر (منع) قتال من اعتزل قتالنا من المشركين، وإنّما الخلاف في تركه.

فماذا يقول دعِيّ الفقه ملا سعيد رمضان البوطي؟ انظر يا بوطي "الجامع لأحكام القرآن" [مجـ٢ ص ٣٥٤] و"أحكام القرآن" لابن العربي [مجـ١ ص١١٠] وهما مالكيّان.

٢ – كذب البوطي على السّلف وقوّلهم إجماعاً لم يحصل لهم قط، بل المشهور خلافه.

قال البوطي في كتابه (اللَّقطة): "هكذا فلندع إلى الإسلام" [ص٩٥] في حديثه أنّ دار الإسلام لا تنقلب إلى دار حرب، قال: كما أجمع السَّلف أنّ هذه البلاد لا تزال دار إسلام لأنّها دخلت ذات يومٍ تحت سيادة المسلمين وسلطانهم. اهـ.

وفي كتابه "الجهاد" يكرّر في أكثر من موطن أن عدم التحوّل هو قول الجمهور، ولم يخالف إلاّ الحنفيّة أو حسب تعبيره: جمهور من أتباع أبي حنيفة (الجهاد في الإسلام ص٨١). فهو يريد أن يقذف في روع القارئ كعادته أنّ دار الإسلام لا تتحوّل إلى دار كفر.

وهذا القدْر من المطلوب مشروع، لكن أن يتّخذ سبيل الكذب لهذا المراد، فهذا هو المذموم، فقد علم صغار طلبة العلم أن الحنفيّة – الصاحبين – والمالكيّة والحنابلة يقولون بضدّ قول السّلف الذي افتراه البوطيّ، وهو يعلم أنّ ما نسبه إلى جمهورٍ من أتباع الحنفيّة هو قول الإمام نفسه، وخالفه الصاحبان (محمد وأبو يوسف).

فقول الحنفيّة مبسوط في بدائع الصنائع، وقد ذكره البوطي مرجعا بالجزء والصفحة، وقول المالكيّة أشهر من نارٍ على علَم، فهم الذين أجمعوا على تحوّل مصر إلى دار كفرٍ وردَّة كدار مسيلمة عندما

حُكمــت من قِبَل بني عبيد الإسماعيليين الكفَرة، وهو كما قال القاضي عياض: وعلى هذا أجمع أصحاب سحنون.

وأمــا قــول الحنابلة فقد قال ابن مفلح: "وكلّ دارٍ غلب عليها أحكام المسلمين فدارُ إسلام، وإن غلب عليها أحكام الكفر فدار كفر ولا دارَ غيرهما، وقال الشيخ تقي الدين..." وذكر قوله في الدار المركبة، ثمّ قــال: "والأولى هو الذي ذكره القاضي (أبو يعلى) والأصحاب" انظر الدرر السنيّة جمع ابن قاسم مجــ٧ كتاب الجهاد ص٣٥٣.

فقول القاضي والأصحاب ومحققي الحنابلة أن الدار تنقلب من دار إسلام إلى دار ردّة وكفر.

فــأين هــو إجمــاع السّلف يا بوطي؟. وأين هو قول الجمهور؟ بل إنّ الشافعيّة في حقيقه الأمر لا يخــالفون في هذا، فقد قال ابن حجر المكّي في التحفة وغــيرها: إنّ البلدة التي استولى عليها الكفّار من بــلاد الإسلام أنّها باقية على حكمها دار إسلام، وإن كانت دار حربٍ في الصّورة، فهي دار إسلام حكماً. اهــ.

نقله حسن صديق خان في كتاب العبرة ص٢٤٠.

وقــال صــاحب كتاب مغني المحتاج ما لفظه: "لو قدر على الامتناع بدار الحرب والاعتزال، وجب عليه المقام بها، لأنّ موضعه دار إسلام، فلو هاجر لصار دار حرب فيحرم ذلك". مجــ٤ ص٢٣٩.

فصــاحب المغــني يقرر التحوّل من دار إسلام إلى دار حرب وكفر. وكذبة أخرى من البوطي على الفقهــاء: بعد أن يذكر عباراته كما فهم من كلام الفقهاء في تعريف دار الإسلام، يقول البوطي في كتابه الجهاد ص٨١: ويلاحــظ من معرفة هذه الأحكام أنّ تطبيق أحكام الشّريعة الإسلامية ليس شرطاً لاعتبار الدار دار إسلام، لكنّه حقّ من حقوق دار الإسلام في أعناق المسلمين. اهــ الغثاء.

ووالله إنّــي لا أدري بــأيّ آلة من جسمه يفكّر هذا الرجل؟ بعقله أم بقدمه؟. من أين أتى بهذا الفهم العجيب؟. وكيف تأتيه هذه الواردات الشيطانيّة. لا نملك إلاّ أن نقول حسبنا الله ونعم الوكيل.

وأمثلة كذب البوطي على الفقهاء كثيرةٌ جداً، ومقالنا هذا لا يسمح لنا بالتطويل، كما أنّ البوطي أحقر من أن نزيده حلقة أخرى.. وللاختصار: أنظر كذب البوطي في تفسير معنى الردّة ص٣٩ وما بعدها.

وكذبــه في حصر الجهاد في الدّفاع عمّا هو موجود وليس جلباً للمفقود ص١٩٦. وانظر كذبه على الفقهاء في حصر الردّة بالاعتقاد ص١٥٨.

وانظر قوله عن الجزية أنّها من تسمية الفقهاء وإلاّ فهي الأتاوة أو الضّريبة ص١٢٣.

وآخــر الفواقر هو أنّه حكم على المجاهدين في الجزائر وسوريا أنّهم ليسوا بغاة، بل محاربين (تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف). ويحيا فقه السلطان، وأصول حافظ الأسد ونائبه عبد الحليم خدّام.

مراجعات حول النّظرة

لقيت هذه النظرة من أوّلها إلى ما وصلت إليه الآن، الكثير ممّا يستحق أن نقف عنده ونعالجه في هذه المراجعات، وككل كتابة إن وفّق الله تعالى كاتبها لابدّ أن تثير القارئ، إثارة تصدمه وتدفعه للتّفكر والمراجعة، وتنمّي لديه الرغبة في البحث والاكتشاف.

هذه الفقرة جوبهت بالكثير من الحرج من بعض المحبّين، حيث عبّروا – حفِظهم الله – عن شفقتهم لهذا الطريق الشّاق الذي سلكته، شفقةً على الكاتب، وشفقةً على النشرة ومن تصدر باسمهم، وقد ناصروا رأيهم ودعموه بأنّ الجهاد يحتاج إلى أنصار، كما أنّه مقذوفٌ من كلّ جانب بشتّى التّهم الباطلة، فالأحرى والأولى أن نجمع ولا نفرّق، وهذه الورقات وبالأخص ما يكتب هنا وما يكتب قي الفقرة الأخرى يكثّر الخصوم لا الأنصار، ومع ما في هذا القول من بعض صواب إلاّ أنّ البحث الواعي يردّك إلى الجواب الشّرعي الذي ينبغي أن نَلزَم غِرزَه ولا نفارقه تحت دعوى المصلحة الموهومة.

وقبل أن أخوض وأبحث في المستند الشّرعي لهذه النظرة، فإنّي أريد أن أنبّه إلى شيء خبرته من هؤلاء القوم الذين يُطلب منهم التأييد والمناصرة، سواء كان هذا من شيوخ وطلبة علم، أو مِن غيرهم من الدَّهماء والعامّة، هؤلاء القوم دلّت الأحداث على أنّهم أسرى لعُقدة النصر والدعاية، وأعني بهذه العبارة؛ أنّ الكثير من المفكّرين والمشايخ تبع لا قادة، فهم ينقادون إلى الصخب العالي، ولا تستهويهم البدايات، والتي تكون غالباً صغيرة الشأن، لا تحمل في داخلها الرّغبة التي اعتادتها شعوبُنا، فلو جاء قائدٌ أفغاني مثلاً ليطلب دعماً مادّياً في بدايات الجهاد الأفغاني، وهو في أوّل الطريق حيث لا يصاحبه صخبٌ إعلامي، ولا تأييد شعبي واسع، لصفعه على قفاه، وانتهره بأقسى العبارات، ولكن حيث علا الضجيج الإعلامي للجهاد الأفغاني، وسمح للمشايخ بالبكاء على المنابر له، وصار مدّه عالياً واسعاً، رأيت كلّ المشايخ يطلبون ودّه بالفتوى حيناً، وبالدّعم المالي حيناً، وبالزيارات التي كانوا يقومون بها كحسو الطائر حيناً آخر، وقلّما تجد من يتكلّم وهو يحمل مشروعاً يصلح الخلل، أو يقوّم المسيرة، أو يرشد الطريق، وكأن كلّ شيء هو منتهى الطّلب وغاية المنى، حتّى إذا وصل الجهاد إلى ما وصل إليه، عاد أولئك المشايخ إلى حظائرهم سالمين، ولأن الهزيمة لا أب لها فمن الذي يستطيع الآن أن يقول ما كان يقوله بالأمس.

ولو افترضنا أنّ هذا الجهاد حقّق الآمال النّهائية للمشروع الإسلامي لكان كلّهم أبوه، وكلّهم صاحبه، وهو وليّه من دون الآخرين.

وكذلك ما حدث مع جبهة الإنقاذ في الجزائر وأمر الانتخابات، فمن ذا الذي جرؤ أن يشير إليها في وقت صخبها العالي، ومدّها المتّسع، وأن يتكلّم عنها أو يشير إليها بطرفٍ خفيّ، لكنّها الآن كالأولى لا

أب لهـــا، هـــذا أمر أمّتنا تحسن ركوب الموجة وهي مرتفعة، أمّا أن تستثمر الضّعيف الصّالح لتقوّيه، أو تقوّم الكبير لئلاّ ينهار، فليس هذا من شأنها.

والجهـــاد فـــي الجزائر الآن لا أب له، والمؤيِّدون له يتكلّمون عنه باستحياء وبعبارات مقنّعة، وإنّي لأرجـــو مـــن الله تعـــالى – وهو أهلٌ لكلّ خير – أن يمتدّ شأنه، ويأخذ طريقه إلى مواقعه الأولى في مشـــروعه بإقامـــة دولـــة الإســـلام، حينئذ لا تنس أخي القارئ هذه الكلمات، فسيصبح الكلّ أبوه ووليّه، وصـــاحبه الذي دعمه وأيَّده، وأمّا إن كانت الأخرى، وهي ليست بالممتنعة، فسيخرج النّاصحون والعقلاء وسيملأون الدُّنيا ضجيجاً، بأنّهم نصحوا وأبلغوا في النّصيحة، وقالوا: ألم نقُل لكم رويدكم؟ ألم نقل لكم لم يحـــن القِطـــاف بعـــد، وحينها لا أب له، وللأسف فهذا أمر مشايخنا، وهو كذلك واقِعُ أمّتنا على الجملة، وهي أسيرة – كما يقال – للواقف، وأمّا الضّعيف فالناس لا يُحسنون إلاّ ذبحه وسلخه.

ومن هنا فإنّ النّاس سيحترمون الجهاد في الجزائر لا لقوّة أدلّته الشّرعيّة، ولا لكونه حقّاً يعدل النّاس إليه، بل حين يصل إلى درجةٍ من الدّعاية العالية أو النَّصر المرتقب، وحينها – صدّقوني – حتى محفوظ النّحـــناح سيكون أمره عند نفسه وعند أصحابه بأنّه هو الذي فجّر الجهاد في الجزائر، وهو أبوه من دون بقيّة النّاس، فعلى الإخوة الأحبّة الذين يشفقون على هذا الجهاد من قلّة ناصريه أن لا يهتمّوا بهذه القضيّة كثيراً، وإلاّ فكم عدد الذين جلستم معهم من المخالفين له ثمّ بيّنتم لهم وجه الحق في هذا الجهاد فاقتنعوا به وآزروه؟.

أظنّ أنّ العدد مخجلٌ ولا شكّ.

أمّا ما يخصّ البُعد الشّرعي لهذه النّظرة فهي أوّلاً رضيت لنفسها أن تسلك سبيل السّلف، وأن تجري على خطاهم وسننهم، وتكشف النّاس والأعلام بما فيهم من حقٍّ وصواب، وبما فيهم من خطأ وغيره، أمرٌ قام به الأسلاف الذين أوصلوا لنا هذا الدّين نقيّاً سليماً.

وممّـــا ينـــبغي الوقوف عنده هو أنّ هذه النّظرة لا تتدخّل في خصوصيّات المرء، وهو الشيء الذي يحب المرء أن يستره من نفسه، فحيث رضي المسلم أن لا يكشف شيئاً من الأمور فنحن نعينه على ذلك، ونقـــف مـــنه حيث وقف من نفسه، وإنّما تتعامل هذه النّظرة مع ما يُظهر المرء، وخاصّة ما يتعلّق بهذا الدين، ففكر المرء وعقيدته وفهمه وتصوّره هو ملك لنفسه وذاته وحده، حتّى إذا دعا النّاس إليه وأخرجه للملأ فحينئذٍ صـــار مُلكاً للآخرين، لهم الحقّ أن يقبلوه أو يردّوه، ولهم الحقّ أن يُناقشوه، وحينها فلا يُقال للمناقش والباحث: أنت تتدخَّل في الخصوصيات، أو كما يُقال من بعض الإخوة: هلّا تركتم ذكر الأسماء، واكتفيتم بالقول: "ما بال أقوام"... فنقول إنّنا نقول ما بال أقوامٍ حين يكون الأمر يخُصّهم وحدهم، والخِطاب متوجّه إليهم حتى يستفيدوا منه، إذ لا حاجة للآخرين بأن يعرفوا مَن هو المقصود، أمّا حين يكون الأمر – كمـــا هـــو في هذا الحال – أمرُ فكـــرٍ وتصوّر، ثمّ حمَلَه صاحبُه ودعا النّاس إليه، وشهَرَه بين الناس، ثمّ صـــار هـــذا القائل مع قوله فِتنة للنّاس يتـــبّعونه ويقلدونه، فالواجب هو – فيما أعتقد – هو أن نفعل ما

فعلــناه، هــذا مع علمي أنّ واقع العمل الإسلامي مليء بالمثالب والنقائص ومن أعظمها الغيبة والنميمة، والكيد للآخرين، إلاّ أنّ الجميع والأغلب يراوغ حين يُطلب منه إثباتُ ما يقول ويهذي.

لقــد سُئِل الإمام أحمد – رحمه الله تعالى –: "الرجل يصوم ويصلِّي ويعتكف أحبّ إليك، أو يتكلَّم في أهــل البدع؟. فقال: إذا صام وصلّى واعتكف فإنّما هو لنفسه، وإذا تكلّم في أهل البدع فإنّما هو للمسلمين، هــذا أفضــل" (مجموع الفتاوى لابن تيمية)، وقد عدّ بعض العبّاد قديماً علم الجرح والتّعديل غيبة أو أنّه يقسّـــي القـــلوب، فــلو أنّ الرجال العظماء من أهل الحديث استجابوا لهؤلاء، أصحاب القلوب الطيّبة والعاطفــة الجيّاشــة، لكنّها البعيدة عن قِيَم العقل والعِلم، فماذا ستكون النّتيجة؟ إنها حينئذٍ الطّامّة الكبرى، وسيضيع علم الحديث، ولا يبقى للمسلمين قدرة في تمييز الصّحيح من الضعيف في الحديث.

وممّــا أشــار إليه البعض أنّ إعمال قواعد الجرح في هذا الزّمان خطأ فادح، ولا أدري وجه قوله، ولكنّي لم أناقش الآخرين في ضبطهم وقوّة حفظهم، وإنّما كان بحثي في فهم هؤلاء القوم لتوحيديْ الشرع والقَــدَر، ثــمّ لفهمهم قتال طوائف الردّة التي غلبت على المجتمعات، فلا يُقال حينئذٍ: لماذا لم تذكر فضل الــرّجُل: أنّه من حفظةِ كتاب الله، أو أنّه يُتقِن فنّ التّجويد؟ فهذا أمرٌ لم أجمع هذه الورقات من أجله، ولا لأســتوعب حال الرّجل من جميع جوانبه، فهي دراسة لا أستطيعها، وإن استطعتها فليس هذا موطنها في مثل هذه النّشرة، فكان أمر ما يُكتب هو كأمر العلامة والدلالة التي تبيّن عمّا تحتها.

قــال بعضــهم: إنّ فــي هذا الفعل إسقاط للرّموز، وهذه الرّموز هي رموزٌ حقيقيّة، وليست مزيَّفة. فأقول: هذا القول خَطَأ محض من جهة النّظر العلمي، فليس في البحث العلمي رموزاً وغير رموز، ولكن في دين الله تعالى والبحث العلمي يوجد حقٌّ وصواب، وهمٌ وخطأ، بدعةٌ وضلال، والطّفل في الإسلام يردّ عــلى شيخ الإسلام، وأمّا أمر الرّموز وغير الرّموز فهو إرثٌ صوفيّ، يحجب المرء عن إبصار الحقيقة فحين يكبر الرّمز ويصبح في نفوس أتباعه ومحبّيه أكبر من الحقيقة نفسها، فحينها على الحقّ السّلام.

وكان ممّا أُخذ على هذه النظرة قسوة العبارة وحدَّتها، والردّ على هذه المؤاخذة من جهتين:

الأولى: شرعيّة استخدام الألفاظ الحادّة والشديدة في حقّ الخصوم.

الثانية: استحقاق الأعلام لهذه العبارات.

بيان الجهة الأولى: إنّه من المؤسف حقّاً أن يظنّ بعض الأحبّة أنّ العبارة الشّديدة لا ينبغي استخدامها بحــالٍ مــن الأحــوال، ولعلّهم يفسّرون معنى الحِكمة على وجهٍ واحدٍ من البيان، وهو رقّة العبارة وعدم شدّتها، وهذا الظنّ هو كظنّ بعض المسلمين أنّ استخدام العصا يجانب الحكمة، وهذا ظنّ مخطئ ولا شك، لأنّ الحكمــة هي استخدام الوسيلة الحق (الموافقة للواقع) للبلوغ إلى الهدف بأقلّ كلفة وخسارة، وعلى هذا فلا بدّ من تحديد الهدف، لنعلم هل هذه الوسيلة تحقّق الهدف أو لا تحقّقه؟.

والهــدف مــع المخالف قد يكون واحداً، وهو بيان خطأ المخالف ومجانبته الصّواب، فلو انفرد هذا الهــدف كمطلوب للمتكلّم والكاتب، فحيــنئذٍ يقتصر الرّاد على المسائل العلميّة فقط دون تشديد عبارة، أو

قسوة لفظ، لكن إن كان هناك مراد آخر غير بيان الخطأ، وهذا المراد هو زجر المخالف ليرتدع، ثم تنفير الـــناس عـــنه، فحينئذٍ لابدّ من استخدام العبارات التي تؤدّي هذا الغرض، وهناك تكون العبارات الشّديدة، والألفـــاظ الغليظة، لأنّه لا يمكن بلوغ هذا الهدف إلا بهذه الطّريقة، وحينها تكون الحكمة في استخدامها، والإعراض عنها هو مجانبة الحكمة، وضدّ قواعدها.

هـــذا الذي قُلتُه، شَرَحَتْهُ السنّة النّبوية، وبيّنته أفضل بيان، ثمّ سار على هديه السّلف الصّالح من غير نكير ولا حرج.

فـــلو عـــاد طالبُ العلم إلى ما أمر به النّبي صلّى الله عليه وسلّم في تبكيتة الداعي بدعوى الجاهليّة، والمفـــتخر بأصول آبائه وأجداده على أصول آباء وأجداد الآخرين، لوجد عبارات هي في قمّة التّنفير في شدّتها وغلظتِها، فقد روى الإمام البخاري في الأدب أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: ((من تعزّى بعـــزاء الجاهليّة فأعُضّوهُ بهن أبيه ولا تكنوا)). والهن ههنا هو ذَكَرُ الرجل، فهذا اللفظ الشديد ما هو إلا لزجـــر هذا الجاهليّ، وتنفير النّاس من قوله وفعله، والسنّة مليئة بهذا، وإنّما اخترت هذا المثال لوضوحه، وعـــدم إمكانيـــة دخول التأويل عليه، ولأنّ هذه اللفظة هي أقسى ما تخطر على بال الرّجل حين يريد أن يشتم أحداً، إذ لا يُتصوّر أنّ هناك عبارة أقسى منها وأغلظ.

وقـــد استخدم الصحابة أمثال هذه العبارات مع وفرة عقلهم، ورجاحة فهمهم، وقيلت أمام النبي صلى الله عليه وسلّم، ولم يُنكرها أو ينبِّه إلى خطئها، لأنّها حين قيلت كانت تعبّر عن تمام الحكمة والعقل، ولو نُـــزعت من موطنها لتستبدل بغيرها لما قام لها بديلاً، فهذا أبو بكر يُجيب أحد المشركين بقوله: "يا ماصّ بظر اللات"، وهي عبارة تدلّ على نفسها، وتبينُ عما تحتها بنفسها، دون شرحٍ أو إسهاب. ولا يقول قائل هـــذه عبارة قيلت في حق مشرك، لأنّ الكلام ههنا عن ضرورة هذه الكلمات في بعـــض المواطن، لأنّها هـــي دون غيـــرها توصـــل لـــلمراد والهدف، والذين يتصنّعون الأدب البارد لا بدّ لهم من استخدام هذه العبارات يوماً ولا شكّ، وما من إنسانٍ كائناً من كان إلا وهو مضطر أن تشتد عبارته، وتغلظ لما يقدّر لها أنّها تناسب هذا المقام أو تليق بهذا الحال، ولو راجع المرء نفسه، لوجد ما قلته حقّاً، لأنّ هذه العبارات هي عـــباراتٌ موجـــودة كامـــنة في النّفس، وتشغل حيِّزاً في ذهن الإنسان، فلا بدّ أن يستخدمها، شاء أم أبى، والحكيم هو من يضعها مواضعها.

فـــالذين يدعـــون إلى إزالة الألفاظ الشديدة الغليظة من معجم الحياة، هؤلاء واقعهم يكذِّبهم، وهم كمن يدعو إلى كسر العصا في التأديب والتّربية. هذه واحدة.

والـــثانية: هـــو تقديـــر المرء للواقعة ليستخدم لها سبيلها من غير نقصٍ ولا زيادة، وهذا أمرٌ نسبيّ، والناس يتفاوتون في تقدير الظَّرف والواقعة من جهة قدره، ثمّ إنّ هذا الأمر يعود إلى فِطرة المرء وطبيعة تكويـــنه، فالـــنّفوس تتفاوت وهي ليست على طبيعة واحدة، وهذا من أعظم الأدلّة على قدرة الله وحكمته، ولعـــلّ كلّ واحدٍ منّا عنده مخيالٌ ما لصورة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ومخيال آخر لصورة عمر

بـــن الخطّاب رضي الله عنه، وهما أعظم النّاس وأكملهم بعد الأنبياء، والصّورتان تختلفان كثيراً، وحمل الواحدة على الأخرى هو من أفسد ما يخطر على بال المرء.

بل لو قرأ المرء القرآن بتمعّن لوجد هذا التّفاوت النّفسي بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فليس من قال: ((ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً))، كمن قال: ((إن تعذّبهم فإنّهم عبادك، وإن تغفر لهم فـــإنك أنـــت العزيز الحكيم))، وليست نفسية موسى عليه السّلام في شدّته حين غضب على الحجر الذي هـــرب بـــثيابه فجعـــل يضربه بعصاته حنقاً عليه، [وهي صورة تدلّ على حالة الغضب التي ملكت على موســـى عـــليه الســـلام نفسه حتّى جعل يضرب الحجر]، قلت ليست نفسيّة موسى عليه السّلام وتكوينها، كنفســـيّة محمّد صلى الله عليه وسلّم وهو رافعٌ يديه يدعو لأهل الطـــائف بالإسلام، وقد أُخرج منها مُدمى القدمين والرّأس، كسير النفس، مكلوم الخاطر.

نعم نفوس النّاس تتفاوت في تلقّيهم للحدث واستقبالهم له. فمقال محمّد سعيد رمضان البوطي لعدو الله حافظ الأسد وهو يعزّيه بوفاة ابنه الذي كتبناه في ترجمته قد يتلقّاه البعض بقوله: سامحه الله وغفر له. وقد يتلقّاه الآخر بقوله: نعوذ بالله من الخذلان. وقد يتلقّاه آخر بقوله: ما أظنّ إلاّ أنّ الله قد غضب على البوطيّ فـــي هذه الكلمة. وقد يقول آخر: هذا رجلٌ عدوٌّ لله.. وهي عبارات شرعيّة بمجملها، وإذا أردنا أن نتخيّل عمـــر بـــن الخطّاب في تلقّيه لهذا الحدث لتخيّلنا مخيالا متقارباً، أمّا أنا فإنّي لأجزم أنّه لو سمع عمر بن الخطّاب، أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولها لِرجل آخر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم لقال له: ويلك، أتتألّى على الله، ثم علاه بدرّته حتّى أدمى رأسه.

أمّـــا أن يقولها شيخ معمّم لحاكمٍ بعثيّ نصيري حاقد، كافر، لعين، عدوّ للإسلام وأهله، فما أظنّ حدّ الـــردَّة بعيـــداً عنه، أو على أقلٍّ تقدير أنّ قوله تعالى: {هم للكفر يومئذٍ أقرب منهم للإيمان} نازلة في حقّ البوطي وأمثاله.

بيـــان الجهـــة الثانية: استحقاق هؤلاء الأعلام لهذه الألفاظ. تقديرات النّاس هذه الأيام لما هو عظيم جليل، وما هو حقير رذيل تتفاوت وتختلف، فالجماعات والأفراد تتعامل مع القضايا بحسب ما تراه مناسباً وضروريّاً، فبعـــض المسلمين لا يُقيم وزناً لشرك القبور، ويقيم الدّنيا ولا يقعدها لقضيّة أخرى يراها مهنة جليلة، مثل قتال اليهود في فلسطين، وآخر يعلّق مناط الولاء والبراء على قضيّة توحيد الأسماء والصفات، ولا يقيـــم رأســـاً لشـــرك الدساتير الوضعية والقوانين الشركيّة، وآخر همّه حمل السّلاح والقتال ولا يهتمّ لمسألة التّوحيد ومسائل البدع، وآخر، وآخر، فمناطات الناس واهتماماتهم ليست واحدة، وعلى ضوء هذه الاختلافات يعلّق النّاس ولاءهم وبراءهم، وتشتدّ عباراتهم أو تلين.

وللتوضيح فسأضرب بعض الأمثلة:

الأستاذ راشد الغنّوشي: رجلٌ يعشق الحرّية والدّيمقراطيّة، وهو سياسي ليبرالي إلى مشاشه، لو سألته – وقد سئل – عن رأيه في حركة التجديد التي قام بها محمّد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربيّة، فأجاب:

"بحـــثت كثيراً عن كلمةٍ واحدةٍ في مؤلّفات محمّد بن عبد الوهاب تتعلّق بتوزيع الثّروة فلم أجد". (عجبي!! ربّما اكتشف راشد أنّ أنابيب البترول كانت زمـــن ابن عبد الوهاب ممدودة سرّاً إلى أمريكا).

الشـــيخ ناصـــر الألباني: متوقّف في تكفير صدّام حسين، لأنّه لم يثبت لديه أنّ صدام حسين يستحلّ الحكـــم بغيـــر ما أنزل الله، والشيخ ناصر كفّر حسن السَّقّاف (رجل بدعي ضلالي مهتمّ بتكفير ابن تيميّة وتلميذه ابن القيّم) لأن الشيخ ناظره وتبيّن له أن السقّاف مُعرِض عن الحقّ، والشيخ ناصر لم يكفّر مدّعي النّبوة لأنّه جاهل. (تقديرات).

عصـــام العريان: في شريط الإرهاب، حينما يتكلّم عن المجاهدين بمصر يقول: "دول عقلهم ضارب" (أي هؤلاء لا عقل لهم)، وحين يتوجّه بالخطاب لباباهم شنودة، تسيل منه عبارات التّمجيد والاحترام. (هو حرّ).

ربيـــع المدخلي: يتقرّب إلى الله بتضليل، وربّما تكفير سيّد قطب لأنّ سيّد قطب يجيز الحكم بغير ما أنـــزل الله، ويســـمّي سلمان العودة وسفر الحوالي بغاة لأنّهم خرجوا عن إمام العدل فهد بن عبد العزيز. (يحيا العدل).

الإخوان المسلمون الليبيّون: يرون الجهاد في الجزائر فتنة يجب اعتزالها، وأمّا قتال اليمن تحت راية علي عبدالله صالح جهاد في سبيل الله، والقتلى شهداء. (لا تعترض فتنطرد).

إســـماعيل الشطّي: (الخصم الإسلاميّ الوحيد لكمال الهلباوي في كتابه "السياسة الأمريكيّة في الشّرق الأوســـط"، بسبب خروجه عن الصفّ الوحدوي) وقف حائراً عند اجتياح صدّام للكويت: أيقف مع الشّعب (الكويـــتيّ المجاهد!!) أم مع الحزب المتملّق لصدّام (صلاح الدين الجديد)؟. فاختار الشعب. (حكمة، ولا لقمان عليه السّلام لها).

قـــادة المكـــاتب فـــي حماس فلسطين: يعلنون صباح مساء أنّ الدّم الفلسطينيّ، لا ينبغي أن يراق بيد فلسطينيّ. (وجهة نظر، لعلّ الدّم الفلسطينيّ أزرق اللون).

والقائمة طويلة، وصدَق التّونسيّون حين قالوا: تفهمها تتعب..